خُطى نحو

مجتمع قارئ

تأليف

حسن جمال البلوشي

حسن جمال البلوشي

خُطى نحو مجتمع قارئ



الطبعة الأولى 2001





﴿ الحمدُ لله ربِّ العالمين ۝ الرحمن الرحيم ۝
مالِكِ يومِ الدين ۝ إيَّاكَ نعبدُ وإيَّاكَ نستعين ۝
إهدِنا الصِراطَ المستقيم ۝ صراطَ الذين أنعمتَ
عليهم غير المغضوبِ عليهم ولا الضالِّين ﴾

صدق الله العلي العظيم

الإهداء

إلى بطلة كربلاء ... إلى صوت الرسالة والنهضة ... إلى حامية الأطفال من التشرّد ...

إلى العقيلة السيدة زينب الكبرى بنت الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ..

وإلى من ربّاني صغيراً ... وشجّعني على القراءة كبيراً ..

إلى الأب الصديق ... إلى الوالد الحميم ..

إلى من أدفأتني بحنانها وحبّها ...

إلى مَن ربّتني وأسهرت أجفانها لأجلي ...

إلى أمّي الحنونة ...

أسأل الله تعالى أن يكحل ناظري بهما ، ويطيل بأعمارهما ..



المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه المنتجبين .

القراءة .. من أكثر المواضيع حيوية في المجتمع ، والعزوف عن القراءة من أكبر مشاكل الأمة التي تعانيها ، وتجترّ ويلاتها .

فالأمة القارئة أمة ناهضة ، والأمة العازفة عن القراءة هي أيضاً عازفة عن الحضارة .

وقد جاء هذا الكتيب المتواضع للحديث عن أهمية القراءة ، وحال الأمة مع القراءة ، وما هي أسباب عزوفها عن القراءة ، وكيف نتحول الى مجتمع قارئ !؟ ..

ولست أدري إلى أي مدى كان توفيقي في ذلك ، وما أعلمه أني قمت بمحاولة متواضعة ، ومتى ما تفضّل الأساتذة المعنيّون والأصدقاء الأفاضل عليّ بإيقافي على أخطائي ، ونقائص الكتاب ، سأكون شاكراً لهم تفضّلهم عليّ ، كل ذلك لعلمي أن الكمال لله - عز وجل- وأني قاصر محتاج دائماً .

والله تعالى وحده ولي التوفيق ... وهو الغاية .

حسن

في ١٥ محرم ١٤٢٢هـ الموافق ١١ إبريل ٢٠٠١م



قبل البدء

مصطلحات في البحث

أرى عزيزي القارئ ونحن نخوض هذا الحديث أنّ من الضروري الوقوف على بعض المصطلحات ، وتعريفها ، لكي لا يختلط علينا الحديث ، والمفاهيم ، ونكون على بيّنة مما نقول .

١- القراءة : "هي عملية فكرية عقلية يتفاعل القارئ معها ، ويفهم ما يقرؤه وينفّذه ويستخدمه في حل ما يواجهه من مشكلات والإنتفاع بها في المواقف الحيوية" (١) .

٢- العزوف عن القراءة : "نقصد به عدم وجود ميل نفسي ، وإندفاع ذاتي ، عند الإنسان نحو ممارسة عملية القراءة (الحرة) التي تفترض أن يقوم بها الإنسان بمحض إرادته دون أن يفرض عليه بنحو أو آخر" (٢) .

٣- المجتمع القارئ : هو عكس العزوف عن القراءة ، أي وجود ميل نفسي ، وإندفاع ذاتي ، عند الإنسان نحو ممارسة عملية القراءة

---

(١) أمة إقرأ لا تقرأ - حسن آل حمادة - دار الراوي - ص١٧ .
(٢) نفس المصدر ص١٧ .

(الحرة) التي يقوم بها الإنسان بمحض إرادته دون أن يفرض عليه وبنحو أو بآخر .

من هنا عزيزي القارئ نكون قد وقفنا على بعض المصطلحات التي من خلالها يمكن أن ننطلق في رحاب البحث ، على أرضية واضحة المعالم .

الفصل الأول

لماذا نقرأ . . ؟!

[أهمية القراءة بالنسبة للمجتمعات الإنسانية]

عندما نتحدث عن القراءة ، فنحن في الحقيقة نتحدث عن حاجة من أهم الحوائج الإنسانية ، مثل حاجة الإنسان للهواء والماء والغذاء والمسكن .. وغيرها من ضرورات الحياة ، فلا أبالغ أن البشرية لا يمكن أن تعيش بدون القراءة ، التي هي السبيل الأول لتحصيل العلم والمعرفة ، فأمة لا تقرأ أمة لا تستحق العيش ، وأمة تقرأ أمة ترقى ، وتعيش إنسانيتها بمعنى الكلمة ، تلبّي حاجاتها الروحية ، والفكرية ، وإن للقراءة من الأهمية والتأثير على حياة الفرد والمجتمعات بشكل قوي ومباشر .

ولو أردنا أن نتصفح التاريخ ليكون لنا خير شاهد على ما نزعم به ، فلن نجد تجربة حيّة حيوية أفضل من تجربة الرسول (ص) مع ذلك المجتمع الراكد ، الذي لم يعرف العلم والمعرفة مكان فيه ، وكل أشكال التخلف تحوطه ، الإنهيار الإجتماعي من الطبقة المتسلطة ، إلى التفكك الأسري ، إلى إنتشار الأمراض الإجتماعية كالتظاهر بالأنساب ، والنزعة العنصرية ، ونظام الرق ، واحتقار

المرأة .

والواقع السياسي أشد بؤساً وتعاسة ، من كثرة الحروب ، ونظام الغابة الذي كان سائداً ، حيث السلطة للأقوى ، ألم نسمع ونقرأ عن حرب بعاث التي إستمرت أربعين عاماً من أجل ناقة .

وإلى الواقع الثقافي ، إذ يُقال أنّ في الجزيرة العربية لم يكن فيها مَن يعرف القراءة والكتابة آنذاك إلا سبعة عشر رجلاً فقط [1] ، فلم يكن همّ الناس سوى الكسب وبأيّ طريقة ، وعقر الخمر .. أي يمكن أن نطلق عليه مجتمعاً مستهلِكاً .

هذا المشهد المأساوي الذي كان سائداً .. تحول وبفترة قياسية لم تتجاوز الثلاثة والعشرين سنة إلى مركز الإشعاع للعالم ، ففي كل سنة يتبدد ظلام الأرض شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً .. بفضل تلك الكلمة التي لا تتجاوز الأربعة أحرف (إقرأ) ، لكنها في الحقيقة تحولت إلى أربع شعل بها أضاءت من حولها ، في كل الإتجاهات .. فهي كانت بداية الإنطلاق إلى رحاب الحضارة ..

واكتملت النهضة الحضارية بتكملة الآية (إقرأ باسم ربك الذي خلق) [2] ، أي النهضة القرآنية الحضارية .. إذ عمل الرسول (ص) على الحثّ على قراءة القرآن أولاً (كتاب فُصّلت آياته قرآناً عربياً لقومٍ يعلمون) [3] ، والقراءة هنا بالمعنى الحضاري للكلمة ، وليس

---

(١) مجلة الكلمة ص١١٥
(٢) العلق ١
(٣) فصلت ٣

كما هو دارج في أذهاننا من القراءة اللفظية للكلمات ، مما شكّل سبباً للجمود في حياة الناس ، إذ المفهوم القرآني للقراءة يعني العمق والتفقّه والعمل به ، لذا كان القرآن الكريم ينبوع الحيوية ، ومنهل السعادة ، وبحر المعارف ، فشيّد تلك الحضارة التي غذّت العالم ، كما يقول (كاثي كوب) و(هارولد جولد وايت) مؤلفا كتاب (إبداعات النار .. تاريخ الكيمياء المثير من السيمياء إلى العصر الحربي) [١] :
" كان المسلمون مفعمين بالحياة أنقياء ، وكانوا أناساً تواقين متحمسين للفكر .. تتطلب الديانة الإسلامية من الأشخاص أن يفهموا القرآن من أجل أنفسهم ، لذلك فإنّ معرفة القراءة والكتابة كانت منتشرة (على عكس الكنيسة الرومانية المسيحية التي إعتمدت على فهم الإنجيل بواسطة رؤساء الكنيسة ، وهو ما يعني أنّ رجال الدين فقط هم المطلوب منهم معرفة القراءة) ، وقد ترجم هذا التشديد على القراءة والكتابة إلى الإهتمام بكل الحرف الفكرية ، بما في ذلك السيمياء والتقنية الكيميائية ، وقد إكتسبت المعرفة من العلماء والمدارس والمكتبات في البلدان المفتوحة ، غير إن بعض المعارف قد إكتُسبت بطرق أقل راحة " .

فحين وعى المسلمون أهمية القراءة وضروتها بالنسبة لحياتهم ، وقدّروا المكتبات والكتب إستطاعوا أن يكونوا المنهل العلمي للعالم المعاصر لهم .

والتاريخ يذكر أن المسلمين برعوا في تأسيس المكتبات العامة ، في أغلب المدن الإسلامية ، كالبصرة وخراسان وسمرقند ودمشق

---

(١) سلسلة عالم المعرفة - ص٧٥

والقاهرة وبغداد وحلب والموصل وقرطبة وغرناطة ومراغة ، وكانت بعض هذه المكتبات تقدّم للقرّاء الأوراق والأقلام والمحابر بالمجّان ، وكان علماء المسلمين يوصون بمكتباتهم الخاصة الى المكتبات العامة ليستفيد منها الناس .

ولا غرابة أن المسلمين أول من بَرَع بنسخ الكتاب وتجليده بالكارتون والنقوش والرسومات الجلدية ، وأنهم أول من وضع الورق وتاجَرَ به ، وبعد ٥٠٠ سنة من إنتاجهم للورق إنتقل إلى أوروبا ، وهم الذين نقلوه سنة ١١٤٧م عندما أسّروا بعض الغربيين في الحروب الصليبية ، فعلّموهم صُنعة الورق .

عندما كان الكتاب بهذه الأهمية نال المسلمون الرِفعة والتقدم ، وأخَذَ الكل في العالم يغرف من محيط علمه علّه يرتوي حتى يبلّل ريقه ، وأضعف الإيمان أن ينعش وجهه برذاذه .

ولكن حين لهى الناس بإقتناء الغنائم ، واهتم السلاطين بالجواري واللعب واللهو ، والتشبّث بالكرسي والمُلك ، وكبت الحريات ، وتحقير العلماء ، ومطاردة الضعفاء ، نزلوا أسفل السافلين ، حتى وصل حالهم أن قال عنهم وزير الدفاع الإسرائيلي السابق موشي دايان : العرب لا يقرأون ، وإذا قرأوا لا يفهمون ، وإذا فهموا لا يعملون [١] .

وتلك المعادلة تكررت في أكثر من مكان في بقاع الأرض -أي معادلة النهضة بالقراءة- ، فهذه فرنسا بدأت ثورتها (الثورة

---

(١) مجلة الكلمة - العدد ٢١ - ص١٢٤

الفرنسية) من الكتابة ضد الواقع المزري ، والإستبداد الذي كان سائداً آنذاك ، فقد طبعوا المئات بل الألوف من الكتب التوعوية ، التي بصّرتهم هذه الحقيقة فنهضت بهم ، وأصبحت الثورة الفرنسية .

من هؤلاء الكتّاب : (بودان) صاحب نظرية السيادة ، و(توماس هويز) صاحب نظرية سلطة الشعب ، و(جون لند) صاحب النظرية الليبرالية الحديثة ، و(شارل مونتسكو) صاحب نظرية الفصل بين السلطات الثلاثة ، و(جان جاك روسو) صاحب نظرية الحرية .

كما إن الكاتب الفرنسي (ميرابو) أصدر كراساً في عشيّة الثورة الفرنسية بإسم حرية الطباعة سنة ١١٩٢هـ/١٧٧٨م ، وأصبح كتابه هذا نواة في صياغة الحق المتعلّق بحرية الكلمة -في المجلس الشعبي في باريس- كحق طبيعي لكل مواطن ، وأصبحت الأفكار الواردة في كتابه هذا من أهم شعارات الثورة الفرنسة .

كما إستطاع الكاتب الألماني لوثر أن يوجّه الكنيسة وصكوك الغفران سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م ، واستخدم في حركته هذه والتي دامت أربعة سنوات تقنيّة الطباعة ولغة تفهمها الشعوب .

وعبّر عن آرائه في عدد من الكراسات ، والتي تكرر طباعتها الى ثمانمائة طبعة ، وإن كتاب (النبلاء) طُبع منه أربعة آلاف نسخة سنة ٩٢٧هـ/١٥٢٠م ، وخلال فترة قصيرة جدّد طبعه خمسة عشر مرة .

ومن جملة مطالبه في أثناء حركته الإصلاحية ، الدعوة إلى الإكثار من طباعة الكتب ، وتأسيس مكتبات عامة في المدن .

والشواهد على هذا كثيرة ، فتلك سُنّة اللّه تعالى في خلقه التي لا تتغيّر ، (فلن تجد لسُنّة اللّه تبديلا ، ولن تجد لسُنّة اللّه تحويلا) [١] ، فمن يقرأ ينال كرم الرب (إقرأ وربّك الأكرم) [٢] ، بغضّ النظر عن لونه وجنسه وأصله ودينه ومذهبه (كُلّاً نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربّك وما كان عطاء ربّك محظورا) [٣] .

خرق الفضاء بالكتاب

عندما أطلق الروس قمرهم الصناعي الأول ، إهتزّت الأوساط التربوية في أمريكا ، وكان السؤال الكبير هو : كيف إستطاع الروس أن يسبقونا في مضمار الفضاء ؟ ، وبعد الدراسات المستفيضة جاء الجواب : لقد أخفقت المدرسة الأمريكية في تعليم تلاميذها القراءة الجيدة ، ورفع المسؤولون عن التربية شعاراً يؤكّد أنّ (من حق كل طفل أن تُهيّأ له جميع الفرص ليكون قارئاً جيداً) .

العظماء قرّاء نهمون

وعلى مرّ التاريخ ، لو صفّحناه لن نجد عظيماً من العظماء إلا وكان قارئاً نهماً للكتب ، يعشق الكتاب ، ويضعه في المرتبة

---

(١) فاطر ٤٣
(٢) العلق ٣
(٣) الإسراء ٢٠

الأولى في سلّم أولوياته ، لأنه يعطي للإنسان المعرفة في الحياة ، والإدراك بما يدور حوله .

والإنسان القارئ تكون له الشخصية المستقلة في الأفكار والمعتقدات والتطلّعات، فلا تدور عليه الدوائر ، في كل مجلس يناظر المفكرين والعلماء والمثقفين .

والقراءة لا تعرف للقارئ عمراً فقد يكون صغير السن ، وهذا لا يعني أنها -أي القراءة- ستبخل عليه بهذه الإمتيازات ، وهذا لا يعني أنها لن تجعل منه عظيماً يناظر الفطاحل فيفحمهم بحجّته وبرهانه ، فيبهت الذي كفر .

مغيّروا التاريخ قرّاء من الدرجة الأولى

وتأثير القارئ على المجتمع أكثر من تأثير العازف عن القراءة ، الذي يعتمد في تكوين أفكاره على برامج الفضائيات ، والإذاعة ، والنقاشات العامة ، لأن الأول -أي القارئ- يتفاعل عقله مع النص بشكل مباشر ، بعيداً عن الضغوط التي ربما تحجبه عن الحقائق ، فيما يقع الآخر أسير عنصر الإثارة ومؤثرات الصوت والصورة والأولان التي توظّفها الفضائيات وأجهزة الإعلام في بعض الأحيان لتلميع الأفكار الزائفة أو التمجيد لشخصيات مقنّعة .

خُذ على سبيل الذكر لا الحصر أسماء من أمثال : جمال الدين الأفغاني ، محمد عبده ، النائيني ، الشيخ الأنصاري ، المفيد ، الطوسي ، العلامة الحلّي .. وغيرهم .

وهناك من أصبح أحد أُسس تكوين المناهج الغربية كجابر بن

حيان أبو الكيمياء ، الذي علّمه مولاه الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) [1] .

فلا يمكن أن نتصور أن مجتمعاً يمكن أن يشيّد حضارة بعيداً عن القراءة ، ولا يمكن تصور أن جماعة أو حركة أو حزباً أو مؤسسة تريد التغيير دون أن يكون أفرادها قُرّاء نهمون .

القراءة مصنع الأحرار

والإنسان الذي يقرأ هو الحر الذي يعيش حياته دون العبودية والأسر للجهل ، والله يصف رسوله الكريم (ص) أنه (يرفع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) [2] وذلك عندما قال الكلمة الأولى (إقرأ) ، قال الرئيس الأمريكي الثالث جيفرسون : ذلك لأن القراءة تطرد الجهل والخرافات ، وهما من ألدّ أعداء الحرية [3].

---

(١) وهو سادس أئمة الشيعة الإمامية ، ويعتبر مؤسس المذهب الجعفري ، يرجع نسبه الى رسول الله (ص) ، ولد في ١٧ ربيع الأول سنة ٨٠ للهجرة ، أبوه محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) ، وأمه فاطمة بنت القاسم بنت محمد بن أبي بكر ، وقد أسّس مدرسة حضارية في التاريخ لن نجد لها مثيل ، حيث كان يحضر درسه أكثر من أربعة آلاف (٤٠٠٠) طالب من أقصى المدن ، وأنحاء العالم ، وكانت له اليد البيضاء في إعلاء كلمة الإسلام ، والحفاظ عليه من موجات الترجمة ، والأفكار اليونانية ، ومن الكتب القديرة التي كُتبت عن الإمام الصادق (ع) ويمكن مراجعتها : (موسوعة الإمام الصادق) لمحمد باقر القرشي ، و(الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب) للدكتور نور الدين آل علي ، و(الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) لأسد حيدر ، و(الإمام الصادق ضمير المعادلات) للكاتب المسيحي سليمان كتاني ، الذي حاز على الجائزة الأولى في الكتابة عن الإمام الصادق (ع) ، والكثير .. الكثير .

(٢) القراءة أولاً - محمد عدنان سالم - دار الفكر - ١٩٩٧م - ص٤٠

(٣) الأعراف ١٥٧

لتستطيع اللحاق بعصر المعلومات

كذلك من أراد أن يعيش بهذا العالم المعاصر ، المليء بالتعقيدات ، وتدفّق المعلومات ، وكثرة الإكتشافات والعلوم ، حيث يُقال أن في كل دقيقة تُكتب أكثر من ثلاثمائة (٣٠٠) مقال علمي ، وخلال عقد من الزمان (التسعينات) كُتب أضعاف ما كُتب على مرّ التاريخ ، وهذه الإكتشافات لن تُرسل الى المخ وتدور فيه دون القراءة ، ولن ينزل الوحي على أيّ منّا ويملي عليه آخر الأخبار والأفكار في الساحة الثقافية والعلمية ، بل علينا أن نتابع ونبحث ، ونلحّ على القراءة ، وهناك كلمة جميلة لـ (باربرا كانتر ووتزوآن اندرودد) عن هذه الفكرة يقولا : الناس قبل مائة عام لم يكونوا بحاجة إلى إجادة القراءة لكي يتسنّى لهم كسب العيش ، ولكن لا أحد يستطيع مواكبة عصر المعلومات دون معرفة القراءة بدرجة جيدة وفهم المواد التي تزداد تعقيداً [1] .

القراءة تعطيك أكثر من حياة

الإنسان عزيزي القارئ له عمر واحد ، فما رأيك أن تعيش حياة كل الشعوب التي سبقتك ، بنفس العمر الذي أعطاك اللّه -عزّ وجل- ، كما يقول الكاتب عباس محمود العقاد : لستُ أهوى القراءة لأكتب ، ولا لأزداد عمراً في تقدير الحساب ، إني أهوى القراءة لأن لي في هذه الدنيا حياة واحدة ، وحياة واحدة لا تكفيني ، ولا تحرّك كل ما في ضميري من بواعث الحركة .

---

(١) مجلة نيوزويك باللغة العربية - ٢٠٠٠/٦/٢٧م - ص٥٠

القراءة هي التي تعطي الإنسان الواحد أكثر من حياة واحدة ، لأنها تزيد هذه الحياة عمقاً ، وإن كانت لا تطيلها بمقدار الحساب ؛ فكرتك أنت فكرة واحدة ، وشعورك أنت شعوراً واحداً ، وخيالك أنت خيال فرد واحد إذا قصرته عليك ، ولكنك إذا لاقيت بفكرتك فكرة أخرى ، ولا قيت بشعورك شعوراً آخر ، ولاقيت بخيالك خيالاً آخر غيرك ، فليس قصارى الأمر أن الفكرة تصبح فكرتين ، وأن الشعور يصبح شعورين ، وأن الخيال يصبح خيالين ... كلا وإنما تصبح الفكرة بهذا التلاقي مئات الفكر في القوة والعمق والإمتداد [1] .

◦ أنت وحيد .. لكنك مجموعة

وعلى أي حال فالقراءة لن تُبقيك وحيـداً ، بل هي وفيّة جداً على كل حال ، فالكتاب يؤنسك ، ويسامرك ، ويقضي معك الليالي الجميلة ، فتشعر بالأُنس واللذة ، التي يعجز القلم عن تصويرها ، ولا يمكن تصويرها إلا بالتجربة ، يقول الكاتب الفرنسي (مونتين) : أن تقرأ ، يعني أن تجد الصديق الذي لن يخونك أبداً [2] .

◦ أنت تقرأ .. إذاً أنت موجود

قيل : أنت تفكر إذاً أنت موجود ، ونقول : أنت تقرأ إذاً أنت موجود ، تعيش العالم بكل تطوراته وأحداثه ، أنت موجود في الساحة الثقافية والعلمية ، أنت موجود في الساحـة السياسيـة

---

(١) القراءة أولاً - مصدر سابق - ص٣٩
(٢) نفس المصدر السابق - ص٣٩

والإقتصادية ، وسُئل (فولتير) عمّن سيقود الجنس البشري فأجاب : الذين يعرفون كيف يقرؤون [1] .

القزم العملاق

اليابان هذا القزم العملاق ، تخلّص من الأمية قبل نهاية القرن التاسع عشر ، وزادت عناوين الكتب الجديدة التي تصدرها دور النشر اليابانية فيه سنوياً الى مائة وخمسة وثلاثون كتاب (٢٣٥) عنوان سنوياً .

---

(١) نفس المصدر السابق - ص٣٨



الفصل الثاني

مجتمعاتنا والقراءة

لكل حضارة في الكون سمة ومظهر تُعرف بها ، فحضارة الفراعنة -على سبيل المثال- سمتها الإهرامات ، التي من يراها أول ما يخطر على باله الفراعنة ، والحضارة الإسلامية سمتها الكتاب .

وأول ما أُمر به المسلمون هو (إقرأ) ، والمسلمون مرتبطون بالكتب والكتاب ، أي القرآن الكريم ، الذي هو مصدر التشريع بالنسبة لهم ، فلا يمكن في أي حال من الأحوال أن يبتعدوا عن هذا المصدر ، وهم يقدّرون الكتاب -أي القرآن الكريم- حيث يوضع في مكان نظيف وطاهر ، ولا يمسّونه إلا وهم في حالة طهارة ، ولا يرضون بأقل الإهانات إليه ، حتى وضعه في مكان غير لائق .

كل هذا التقديس للكتاب والإهتمام به أصبح اليوم شكلياً خالياً من الجوهر ، فلو نظر إلى مجتمعاتنا هل هي تُقبل على القراءة ؟! ، وتضعها في سلّم أوليّاتها ، باعتبار أن (إقرأ) كانت الآية الأولى ، فمن الغريب جداً أمة سمتها الحضارية الكتاب ، وأول آية في كتابها التشريعي (إقرأ) ، وربها لا يساوي بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، لكنها عازفة عن القراءة ولا تضع لها أي أهمية .

هل نحن مجتمعات تقرأ ؟!

ليس هناك إحصاءات رسمية ترصد معدل القراءة في مجتمعاتنا بشكل دقيق ، كما إننا لم نسمع عن إحصاءات قامت بها مراكز البحث أو مؤسسات إعلامية تمكّننا من الإجابة بموضوعية علمية حول التساؤلات التي بدأت تُطرح بشكل واسع حول ضعف القراءة داخل الأوساط المتعلمة ، أو تراجع معدلات القراءة بنسبة كبيرة تختلف عما كانت عليه قبل عقد أو عقدين من الزمان .

لكننا نستطيع أن نتحدث عن ظاهرة ضعف وتراجع القراءة في مجتمعاتنا من خلال عدة معطيات :

أولاً : التقارير التي تنشرها المنظمات العربية والإسلامية والعالمية في المناسبات المختلفة ، عن إرتفاع نسبة الأمّيّة في العالم ، التي تخزي القارئ العربي والمسلم عند قراءته لهذه الفضيحة المخجلة ، ولكن على أيّ حال يجب الإعتراف بها بكل شجاعة لكي نستطيع حل المشكلة .

" فقد حذّرت المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم بمناسبة اليوم العالمي لمحو الأميّة (٨ أيلول/سبتمبر ١٩٩٨م) من خطر زحف الأمّيّة على فئات المجتمعات الإسلامية ، وأكّدت على أن نسبة الأمّيّة في العالم الإسلامي تتراوح بين ٤٥ و٦٠٪ ، أي أكثر من نصف السكان يعانون من الأمّيّة ، كما ذكر تقرير لمنظمة العمل العربية ان ٥٣٪ من سكان العالم العربي قادرة على القراءة " [١] .

---

(١) مجلة الكلمة - العدد ٢١ - ص٧٩

و " جاء في المؤتمر العربي الإقليمي الذي نظّمته اليونيسكو وعدد من المنظمات التابعة للأمم المتحدة والبنك الدولي ، شاركت فيه الدول العربية من الفترة ٢٤ إلى ٢٧ يناير عام ٢٠٠٠م ، حيث أكّدت المؤتمرات التابعة من المؤتمر عدد الأمّيّين العرب بلغ حالياً ٦٨ مليون شخص ، وأكّدت الأرقام في المؤتمر القراء بين النساء ٦٩٪ من الذكور في عام ٢٠٠٠م مقابل ٧٥٪ في جنوب الصحراء الأفريقية و٩٨٪ في أمريكا اللاتينية و٨٦,٦٪ في شرق آسيا و٨٤٪ في جنوب آسيا ، كما أشار المؤتمر أن ١٢٪ فقط من تلاميذ الصف الرابع الأساسي يُظهرون إتقاناً عالياً في مهارات اللغة العربية وتنخفض النسبة إلى ١٠٪ في الرياضيات ، ويظهر بين ٢٠ و٣٠٪ من التلاميذ مستويات متدنّية من الإتقان "[1] .

" وقد نشر في جريدة (الإهرام) نتائج بحث عن القراءة خلال شهر أكتوبر ١٩٨٦م ، وقد حوى مؤشرات خطيرة حول عزوف الشباب عن القراءة الواعية المفيدة -ولا أدري هل كان ذلك تبعاً لعزوفهم عن الزواج أم لا ؟- إذ تبيّن أن ٧٠٪ منهم يكرهون الكتاب "[2] .

" وفي رسالة ماجستير كان الهدف من إجرائها هو معرفة ميول طلبة المرحلة الثانوية في القراءة (الحرة) الخارجية في المرحلة الثانوية في العراق ، وتوصّل الباحث إلى نتائج عديدة ، منها : أن نسبة عدد من يقرؤون قراءة حرة بلغت ٠,٠٦٪ من المجموع الكلي لأفراد العيّنة التي وصل عددها إلى ٦٠٠ طالب وطالبة "[3] .

---

(١) مجلة الذِكر - العدد ٢١ - ص٦
(٢) أمة إقرأ لا تقرأ - مصدر سابق - ص٢٦
(٤) نفس المصدر السابق - ص٢٦،٢٧

ثانياً : ما تنشره دور النشر وإصداراتها السنوية ، فهي من المؤشرات الجيدة على المستوى القرائي والإنتاج الفكري .

" إذا رجعنا لإستقراء واقع الإنتاج الفكري وحجم الإصدارات السنوية ، فسنجد أن العالم العربي يأتي في مؤخرة الركب العالمي من حيث الإصدارات السنوية ، نأخذ على سبيل المثال مصر ، فهي تصدر أو تُنتج ما يقارب ١٦٣٨ كتاب أو إصدار سنوياً ، في المقابل نجد بريطانيا تصدر ما يناهز ٤٨٠٠٠ كتاباً أو إصداراً سنوياً ، أما روسيا فمعدل الإصدارات السنوية يقارب ٨١٩٠٠ إصداراً ، وتصدر الولايات المتحدة ما يقارب ٨٤٨٠٠ إصداراً سنوياً ، كما تصدر ٢٠٠ مجلة تعني بالأطفال ، في مقابل ١٠ مجلات للأطفال في العالم العربي ، وقد أكّدت بعض الإحصائيات أن ما تطبعه دور النشر العربية مجتمعة لا يصل نصف ما تنشره إسرائيل وحدها (اليونيسكو سنة ١٩٩٦م) " (١) .

ثالثاً : من خلال المستوى الثقافي العام -إن صحّ التعبير- للأمة ، وما هي إهتماماتهم ، وما القضايا التي تحرّك ساكن شغفهم .

لو سألنا شاباً يافعاً في ربيع شبابه عن القضايا التي تهمّه في حياته ، فلن يجيب عن أكثر من كرة من الجلد منفوخة بالهواء يضربها برجله يرميها في أحضان شباك المرمى ، أو أن يذهب إلى حلّاق الشعر (صالون) ليلعب برأسه بفنون الموديلات فيكون الرأس كالشجرة التي حسّنها المُزارِع ، وهو يعاني من صداع في رأسه فهو

---

(١) مجلة الكلمة - العدد ٢١ - ص٨٠

بلا وعي ، أو أنه أعمى ، وبحركات عشوائية عمل هذا الشكل .

أو أن تكون إهتمامات الشاب بأحدث الأزياء والملابس وآخر المنتجات في السوق .

ولو أعلنت إحدى الفضائيات عن برنامج ثقافي علمي وثائقي مفيد ، فسيُصاب المخرج بخيبة الأمل ، لأنّه لن يشاركه في هذا البرنامج ولن يطلّ على التلفاز أحد أبداً !! ، بينما لو أُعلن عن لقاء مع (فنانة) عجوز أكل عليها الدهر وشرب لكي تحكي عن تجربتها (العريقة) في الحياة ، أو إعلان سهرة مع راقصة من (الطراز الرفيع) ، وتظهر على الشاشة ويرى الشباب (فنونها الإبداعية) و(مواهبها الذاتية) ، عن كيفية الرقص ، فلن تجد أحد من الشباب إلا وقد ساهم بالمشاهدة ، التي تبعث على الروح مزيداً من الإنحطاط .

وتقول بعض الإحصائيات أنّ " بعض الطلاب عندما يتخرجون من المرحلة الثانوية يكون قد أمضى أمام التلفاز قرابة (١٥٠٠٠) ساعة ، بينما إذا كان مواضباً على الدراسة فإنه يمضي في حجراتها قرابة (١٠٨٠٠) ساعة على أقصى تقدير ، ومعدل حضور بعض الطلاب في الجامعة (٦٠٠) ساعة سنوياً بينما متوسط جلوسه أمام التلفاز (١٠٠٠) ساعة سنوياً " .

فقد نشرت جريدة الرأي العام الكويتية إستبياناً حول هذا الموضوع لعله يبرهن عن هذه الحقائق ، وكان السؤال :

- أواضب على قراءة الكتب المختلفة (٦٥٪ لا ، ٧٪ أحياناً ، ٢٥٪ نعم) .

- أفضّل التلفاز والسينما على القراءة (٦٨٪ نعم ، ١٤٪ أحياناً ، ١٨٪ لا) [1] .

هذه المعطيات الثلاثة تلمس واقع مجتمعاتنا وتدلل على عزوفها عن القراءة ، على عكس المجتمعات القارئة من حيث المظهر العام .

بحيث ترى مَن في الطبيب يمسك كتاباً يقرأ فيه حتى يحين موعده .. في إنتظار المواصلات .. في القطار .. في الحدائق ..

ومن طريف ما يُنقل ، أن رجلاً ركب في تاكسي ، وفي الطريق قال سائق التاكسي للرجل : هل تقرأ الكتب ؟ ، وبكل ثقة ردّ عليه : لا ، قال السائق : لِمَ ؟ ، قال له الرجل : لا أجد الوقت الكافي لأقرأ فأنا مزحوم ، فأخرج السائق من تحت المقعد كتاب ذو سبعمائة صفحة ، وعليه إشارة المكان الذي وصل إليه ، قائلاً له : هذا الكتاب أنا أقرأه عندما أنتظر أحداً من الركاب ، أو عند الزحام ، وعند إشارة المرور الحمراء ، نظر إليه الرجل بكل دهشة ، وثار في عقله سؤالاً محيراً : وكيف إذا تحولت الإشارة الى خضراء وأنت عينك في الكتاب لا تنظر إلى الإشارة ؟ ، وأجاب السائق : أما هذه فلا عليك ، فالذي يقف خلفك لن يقصّر بضرب البوق .

---

(١) جريدة الرأي العام الكويتية - العدد ١٢٠٤٢ - السبت ٢٠٠٠/٦/١٠م

الفصل الثالث

اسباب عزوف مجتمعاتنا عن القراءة ؟!

عندما نتحدث عن أسباب العزوف عن القراءة في مجتمعاتنا فهنالك عدة جهات رئيسية لها باع طويل في تثبيط أو تشجيع القراءة لدى المجتمع ، وهم الأسرة باعتبارها الجماعة الأولية للإنسان ، والمدرسة وهي الجماعة الثانوية المسؤولة عن التكوين الفكري والمعرفي للإنسان ، والإعلام الذي يعتبر من أهم روافد البيئة الإجتماعية وله أيضاً باع في عملية التنشئة الإجتماعية ، وأيضاً على مستوى الدولة التي لها المسؤولية الكبيرة أيضاً .

[١] **الأسرة :**

" الطفل صفحة بيضاء فكلما نُقش فيها تكوّنت تلك الصفحة بذلك اللون ، فإذا جاء لون آخر يريد إزالة ذلك اللون السابق ، لم ينفذ كنفوذ ذلك اللون السابق ، فيبقى اللون الجديد باهتاً بينما القديم قاتماً ، هذا بالإضافة إلى أن تقبّل الطفل أكثر وأسرع من تقبّل غيره " (١) .

---

(١) أمة إقرأ لا تقرأ - مصدر سابق - ص٣٢

تشكّل الأسرة الجماعة الأولية للإنسان حسب علم النفس والإجتماع ، حيث تقوم بعملية التنشئة الإجتماعية ، ولها التأثير المباشر ، والقوي على الإنسان ، باعتبار أن العلاقات قوية وحميمة ، وتتصف بالإستمرارية ، وهي أكثر الجماعات بالنسبة للإنسان تأثيراً بالمقارنة مع أخرياتها كالمدرسة والأصدقاء والإعلام .. وغيرهم ، من حيث التكوين الجيني والوراثي على الأخص .

وعندما نأتي إلى الأسرة في مجتمعاتنا ، في الحقيقة نحن نقف عند جرح كبير في المجتمع ، فما نراه من الأسرة -الأبوين- من عدم الإهتمام بالأبناء ، وعدم تثقيفهم وتحفيزهم على القراءة ، من خلال قراءتهم لأبنائهم القصص ، أو أخذهم إلى المكتبات لشراء الكتب التي يحبونها والتي تُشغل بالَهم ، بل والطامة الكبرى هو عندما لا يوجد ميل قرائي لدى كثير من الآباء ، فكيف يكون حال الأبناء ؟! ، وهل يعطي المفلس مالاً ؟! .

□ خطوة ..

يقول الإمام علي بن أبي طالب (ع) : " إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي عليها من شيء إلا قبلته " [1] .

يتساءل الكثير من الآباء ، وتخيّم الحيرة على رؤوسهم ، متى يبدأ تعليم أبناءه القراءة ؟! ، ومتى يبزغ في نفوسهم حب القراءة ؟! ، حتى يصبح كالشاب الذي كانت أمه عند الليل هي التي تأخذ منه الكتاب بقوة ، وتطفئ السراج عليه لكي ينام ، ونحن نتودّد

---

(١) بحار الأنوار - ج١ - ص٢٢٣

للطفل ، ونفاكهه ، ونكافئه ، ونتوسل إليه بأن يأخذ الكتاب ، فلا يقبل .

فقد أجاب على هذا السؤال مؤلفا كتاب (أولادنا والمطالعة) وهما (فيرونيك مومسون وكريستين هوبيه) فإن هذان المؤلفان يريان أن الطفل يتعلم القراءة من الستة أشهر الأولى من عمره ، بحيث تقدّم الأم في كل يوم ورقة فيها كلمة واحدة مكتوبة بالأحمر ، وتمرر على الطفل ليراها ، وكل ذلك خلال ثلاثة إلى أربعة دقائق في اليوم ليس أكثر من ذلك ، ومن خلال هذا العمل البسيط يستطيع الطفل تحصيل بعض المفردات اللغوية التي تعينه على القراءة ، وهنالك بعض التفاصيل الجزئية يمكن مراجعتها في الكتاب نفسه .

وهناك الكثير من الأعمال البسيطة التي لو قام الآباء بها لحقّقت الكثير من النتائج الإيجابية في تنمية الميول القرائية ، والفنية ، والميكانيكية .. وغيرها ، وهي تعتبر من وظائف الأسرة -الأبوين- التي حملت على عاتقها الإنجاب وعليه التربية ، ولو إهتمّ الآباء قليلاً وبذلوا بعض الجهود فإنّ من السهل تكوين مجتمع القراءة .

››› إقرأ لطفلك

" قد تكون لديك ثروة حقيقية مخفاة : علب جواهر ، صناديق ذهب ، لكنك أغنى منّي لن تكون لأن لي أماً تقرأ لي " [١] .

---

(١) خولة القزويني - مقال في جريدة السياسة الكويتية - "ياوطن إقرأ" - السبت ١٩٩٩/٢/٧م .

من أفضل الأمور التي يقوم بها الآباء لتنمية الميول القرائية لدى الأبناء هي قراءة القصص لهم .

فكم يشدّني هذا المنظر ، وأهتز من الأعماق فرحاً وسروراً ، الأب يفرش حضنه ويضع الطفل فيه .. والطفل غَمَرته الفرحة لجلوسه في هذا الحضن الدافئ .. الإبتسامة ملئت وجهه .. السرور يداعبه .. وحنان الأبوّة يرش الطفل بالدفء .. والأب يقرأ لطفله الحبيب قصة جميلة تحكي له التراث والقيم والأخلاق .. وبين الحين والآخر يلطف الأب الجو بقُبلة على وجنتي الطفل .. .

ويعلّق على هذا المشهد من الناحية العلمية لأحد مؤلفي التربية قائلاً : " ونحن أخذاً بتجارب الباحثين الذين قضوا عمراً في مراقبة ودراسة مستوى متعة الأطفال فيما يقومون به من نشاط نرى أن القراءة إذا أُدخلت إلى عالم الطفل في وقت مبكّر وبطريقة صحيحة تعد بأن تصبح أهم متعة في حياته على الإطلاق في حينه ، وفي كل مراحل طفولته ، وفي مستقبل حياته ، وربما لسبب أساسي ومهم وهو : أنها تتضمن إنشغال والديه معه وتضمن له إنتباههما وإهتمامهما الكامل ولو لفترة من الزمن كل يوم وما يتبع هذا من مكافأتهما له بالحنو والقُبل والعناق " [1] .

))) قدّم المكافآت

وأيضاً بإمكان الآباء تقديم المكافآت لأبنائه في حال قراءتهم

---

(١) أمة إقرأ لا تقرأ - مصدر سابق - ص٣٤،٣٣

لكتاب أو قصة ، وحين نتكلم عن المكافآت ، قد تكون مالية وقد تكون غيرها ، ولا نقصد هنا بالآلاف والملايين ، بل زيادة بعض القروش إلى المصروف .

أو قد تكون المكافئة على شكل آخر ، وهذه المكافئة راجعة إلى ذكاء الوالدين ومعرفتهما ميول الأبناء وما يشتهونه ، ويحاول من خلال ذلك أن ينمّي عندهم حب القراءة والتوق لها .

››› إصطحب أبنائك إلى المكتبات ..

ومن الأعمال المهمة إصطحاب الأبناء إلى المكتبات العامة والتجارية ، لكي يتعلّموا أن المكتبات والكتاب من اللوازم الأساسية للحياة ، كما إن الآباء يصطحبون أبنائهم إلى السوق لإقتناء بعض الملابس ، والتي هي ضرورية بطبيعة الحال فلا يستطيع العيش عرياناً ، كذلك لا يستطيع أن يعيش عريان العلم والمعرفة ، وعليه أن يعلم أن الكتاب بمنزلة أمور العيش الأساسية كالطعام والشراب والمسكن ... بل والهواء أيضاً .

وأيضاً هي خير فرصة للآباء ليعرفـــوا ميول أبنائهم ، من خلال الكتب التي ينتقونها ، ويقوم بالدخول إلى أعماق الطفل من خلال ذلك الميل ، وتتم عملية نقل التراث والقيم والأخلاق من خلاله ، فإذا كان الطفل يألف الحيوانات والطيور والأزهار ، فعلى الوالد أن يقصص عليه القصص بأمثله الحيوانات مثلاً ويوصل إليه قيماً أخلاقية .

››› الأب القارئ ينتج أبناء قرّاء ..

ولا أنسى أن أهمس بأذنك عزيزي الأب (والأم) : " إذا كنت أنت من القرّاء النهمين فاطمئن أن إبنائك سيكونون كذلك ، شئت أم أبيت ، ذلك لأن الطفل يعتقد أن ما يفعله الأب هو العمل النموذجي ، والأكمل ، والأفضل ، وجدير بالإقتداء به ، كذلك عندما يرى والده لا يميل إلى القراءة ، وكل إهتماماته لا تخرج عن إطار الأكل والشرب والسيارة واللبس ... وغيرها من لوازم الحياة المادية ، بعيداً عن القضايا الروحية الحضارية التي جعلت منه إنساناً يعيش إنسانيته بمعنى الكلمة فسيكون إبنك كذلك " .

››› كوّن مكتبة لطفلك في المنزل

عندما يهندس المنزل على الأوراق ، جميع اللوازم البيولوجية تسطّر على الأوراق ، ومن الحمام إلى غرفة النوم إلى غرفة الطعام والصالة ومكان الضيوف والمخزن وغرفة الخادمة والأبناء ... وغيرها ، لكن الحاجات الروحية والحضارية غائبة عن كثير من الآباء .

فكم والد فكّر بإنشاء مكتبة صغيرة في غرفة من الغرف ، يكون التخطيط لها قبل البناء ، وتكون مزوّدة بكل لوازم المكتبة ، من أرفف ، وكراسي ، ومكاتب ، وتكون ملونة بالألوان ، بحيث تنافس كل الغرف الأخرى بما يتناسب مع الأطفال ، وأيضاً يكون هنالك لوحات معلّقة على الجدران تحمل بعض الكلمات الحماسية تجاه الكتاب ، وتوحي ببعض الإيحاءات

الإيجابية تجاهها ، مثلاً (أنا أحب القراءة) ، (أكثر الناس كرامة أكثرهم قراءة) ، (إقرأ وربك الأكرم) ، (القراءة حضارة) ، (القراءة لذيذة جداً) ، وصور لأطفال يقرؤون ، كل هذا غير موجود في بال الوالد حين البناء ، بل ربما حتى بعد البناء ، ولكن ضروري جداً ونحن نحاول أن نخطو خطوة إلى الأمام القيام بهذه الأعمال ، ولو كان على حساب بعض الخسائر الآنيّة ، والربح المستقبلي .

››› تهادوا بالكتب ..

قال رسول اللّه (ص) : (تهادوا تحابّوا) ، تعتبر الهدية من طرق توطيد العلاقات بين أيّ طرفين ، وعندما تصبح الهدية كتاباً ، أي أن للكتاب هذه المنزلة في نفوس الناس بحيث يتقرّب الصديق من صديقه بها ، والأب من إبنه أيضاً ، هذا العامل -التهادي بالكتب- يخلق جواً من تقديس الكتاب يساعد على ترويج عادة القراءة .

[٢] المدرسة :

والمدرسة هي ثاني جماعة يلتقي بها الإنسان ، ولا ينكر مدى تأثيرها عليه ، فالطفل يقضي ثُلث يومه بالمدرسة ، وثُلث في النوم ، وثُلث في أمور الحياة الطبيعية .

وهذه المدرسة تعاني اليوم الكثير من المشاكل التي تقف عقبة في سبيل تنمية عادة القراءة لدى المجتمع وخصوصاً الأطفال ، فالمناهج التعليمية التي تعتمد إسلوب التلقين والحفظ التي تقف حجر عثرة أمام الإبداع والقراءة ، وحجم المناهج التي تُفزع الشباب

والأطفال من الكتب الأخرى فيتولّد لدى الشاب تصورات أن كل الكتب هكذا ، فعندما نقول لشاب : لماذا لا تقرأ ؟! ، وهو في العطلة الصيفية يقول : الحمد للّه أني إنتهيت من الكتب الدراسية وتريدني أن أقرأ هذه الكتب ! .

في الحقيقة هو لم يدرك الفارق بينهما ، ولم يدرك لذّة القراءة وطعمها الذي يفوق كل أنواع الطعام اللذيذ الشهي ، والذي ما إن يتذوقه لن يرضى بغيره ويقدّمه على جميع الملذّات .

والمدرسة لا تُشعِر الطالب بأهمية التعلّم الذاتي الذي هو العامل المكمّل إن لم يكن العامل الأول في عملية التعليم ، فالطالب يكتفي بالدرس ، وليس لديه الشعور بضرورة القراءة في نفس المنهج في الكتب الأخرى .

□ خطوة ..

نحو معلّم قارئ ..

(فاقد الشيء لا يُعطيه) ، من هذا المنطلق يبدأ إصلاح المدرسة ، من المعلم نفسه ، بحيث لو كنا نملك معلمين قُرّاء شئنا أم أبينا سنخلق تلاميذاً قرّاء ، لأن مَن يقرأ تأسره لذّة القراءة فيطمع بأن تأسر الجميع معه .

غير أن المعلّم لديه في وجدان التلاميذ مكانة لا بأس بها خصوصاً إذا كان من المعلّمين المرحين ، وخفيفي الظل ، فالطالب يرى من المعلم قدوة من الناحية العلمية والمعرفية ، ومن ناحية

السلوك أيضاً ، فعندما يرى الأستاذ غارق في لجّة الكتاب سيحاول هو أيضاً أن يصبح مثله ، وعلى العكس إذا كان المعلّم ليس همّه إلا التعليق على الطلبة بين الحين والآخر في الساعة الدراسية ، والضحك والقهقهة .

والمشهد الأكثر إثارة عندما يذهب الطلبة إلى غرفة المدرسين وهم يتوقعون أن الجميع إما منشغل بكتاب أو بنقاش علمي حول المواد العلمية .. !! ، لكنهم -أي التلاميذ- يندهشون حين يرون أن المعلّم مشعِل لسيجارة هناك ، والآخر في جدال حامي الوطيس حول أفضل السيارات هناك .

إذاً نحن بحاجة إلى المعلم القارئ الذي ينتج جيلاً مولع بالقراءة ، هذا أولاً ..

››› مناهج التعليم

وثاني عمليات الإصلاح هي المناهج التعليمية ، فمن الضروري أن نتّجه إلى المناهج التي لا تعتمد في تدريسها إلا على التلقين ، والحفظ ، ومن ثم سكبه على أوراق الإختبار بعيداً عن آراء الطالب الشخصية ، وبعيداً عن النقد والتقويم للأفكار ، فهذه الطريق وأد للإبداع ولعقل الطالب ، ولا تخلق لنا طالباً قارئاً ناقداً لما يقرأ ، ولا مستقل الأفكار والشخصية .

بعكس لو كان التعليم يعتمد على النقاش والحوار ، والبحث الجماعي ، ونقد وتشريح الأفكار ، فهذا النوع من التعليم يفتح للطالب الكثير من الآفاق والأبعاد ، فتراه من تلقاء نفسه ينبش

المكتبات ، ويبحث في الأرفف عن الكتب في المجال الذي يشغل هاجسه ، وقد لا يرتوي ويستمر في البحث والبحث .. وشيئاً فشيئاً يصبح قارئاً نهماً ، لأن طالب العلم منهوم لا يشبع كما يقول رسول الله (ص) : (منهومان لا يشبعان : منهوم مال ومنهوم علم) [1] .

››› لتكن ساعة دراسية للقراءة فقط ..

ومن النواقص الموجودة في التعليم ، عدم وجود ساعة دراسية للقراءة فقط .. وفقط ، كأن يُؤخذ التلاميذ إلى مكتبة المدرسة ، ويرشدهم أمين المكتبة إلى الكتب الجيدة والمفيدة ، ويشوّقهم لقراءتها .

على شرط أن تكون هذه الساعة من المنهج التعليمي بحيث تكون إلزامية على التلميذ والمعلّم ، وتبدأ من رياض الأطفال إلى الثانوية ، لكي تتركّز في عقلية الطفل أن الكتب شيء ضروري وملحّ في الحياة .

هذا في الوقت الذي نرى التركيز على المواد الرياضية بشكل مفرط وكبير ، حتى إنّ في بعض البلدان (الكويت مثلاً) تكون مادة الرياضة من المواد المُحاسب عليها في الدرجات ، في الوقت الذي لا نرى عُشر هذا الإهتمام في القضايا العلمية والمهمة لمستقبل التلاميذ ، كالقراءة مثلاً .

---

(١) بحار الأنوار - ج١- ص١٦٨

››› المكتبات المدرسية

ونريد أن نعلّق قليلاً على المكتبات المدرسية ، فمن الضروري أن تزوّد المكتبات المدرسية بجميع وسائل التعليم والجذب ، بحيث تكون منافِسة لملعب المدرسة أو غرف التسلية ، من حيث الكتب المناسبة مع سن الطلبة ، والمكان الملوّن بالألوان الزاهية التي تبعث على الراحة والجذب (*) ، والمقاعد المريحة وسهولة الإستعارة ، والمسابقات المشجّعة .

››› التقدير الحقيقي للطلبة القرّاء

ومن الأعمال التي يمكن أن تقوم بها المدرسة هي المسابقات القرائية السنوية ، بحيث تكون هنالك مكافآت تقديرية لأفضل قارئ -أكثر التلاميذ قراءة للكتب- ويجب أن يكون التمييز دقيق وحقيقي بين القارئ وغيره لكي يكون حافزاً للآخرين .

(*) ونحن في وطننا العربي والإسلامي نعيش حالة فقر كتب الأطفال ، فكثير ما عندنا من الغرب ، خالي من قيمنا الإسلامية ، وكثير من دور النشر عندما حاولت المساهمة في إثراء مكتبة الطفل وقعت في هذا المحظور ، وهو ترجمة كتب الأطفال الغربية ، البعيدة كل البُعد عن الثقافة الإسلامية ، حتى أن بعضها إستغلّ لضرب المسلمين وتشويه سمعتهم ، لكن المسلمين لم يعوا هذه المؤامرة -إن صح التعبير- ، وفي مقابل ذلك لا يخفى أن هنالك جهوداً قد أبدعت في هذا المضمار ورعت ضرورة ترسيخ الثقافة الإسلامية ومبادئ أهل البيت (ع) ، وبصائر القرآن الكريم ، على شكل قصص للأطفال ، منها الدار الإسلامية في بيروت .. وغيرها ، التي تُعطي الأمل لمستقبل واعد لكتب الأطفال .

[٣] الإعلام :

حين يتعرّض علماء الإجتماع والنفس للإعلام ، فإنهم يصفونه أنه رابع روافد البيئة الإجتماعية ، فبعد الأسرة والمدرسة والأصدقاء يأتي الإعلام ليكون الرابع ، لكنه في الحقيقة في عصرنا ، ومع دخول الألفية الثالثة هو الأول دون منافس ، وبدون مبالغة ، لماله من سهولة إيصاله الفكرة بشكل مسلّي ومرح ، ومرئي ، وأكثر رغبة ، ودغدغة للمشاعر ، وبكل صراحة يمكن القول أنه يتولّى الجزء الكبير من عملية التنشئة الإجتماعية .

وهي بهذه العملية -التنشئة- تنافس الأسرة ، فالتلفاز ، والإذاعة ، والمسرح ، والسينما ، وعلى رأسها الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) التي أسَرَت عقول الشباب ، وأصبحت المنهل الثقافي الذي يزوّدهم بالمعلومات والقيم فهم بين رحمته وعذابه .

وللإعلام التأثير أيضاً على مناحي الحياة الأخرى ، كالسياسة والإقتصاد والإجتماع والشؤون الثقافية .. وكمثال على ذلك قضية والت ديزني ومعرضها الذي كان شعاره (القدس عاصمة إسرائيل) فكانت قنبلة فجّرها المعرض ، حيث توافدت الكثير من الفتاوى والمقاطعات السياسية من قِبَل الدول العربية والإسلامية ، والتجريح بأعمال ديزني التي تعمل على تشويه صورة العرب والمسلمين في أعمالها الكرتونية ، كالفيلم الكرتوني (علاء الدين) .. وغيرها [١]

---

(١) لمن أراد تفاصيل قضية والت ديزني بإمكانه الرجوع إلى مقال للكاتب (فهمي هويدي) في جريدة الوطن ، فقد تعرض لكل التفاصيل ، وأعمالها الدنيئة ، وألعابها الدنسة في تشويه سمعة الإسلام .

وشاهدنا على مدى التأثّر على الأجيال ، وعلى الأخص الأطفال منهم .

إعلامنا غير موجّه لتثبيت القِيَم ، والنُبل ، وتكوين العادات الحسنة في المجتمع ، بل هو لا يخرج عن نطاق لقاء مع (فنانة) ، أو غناء لمطرب ، أو عرض لمباراة كرة قدم ، أو عرض لمسلسلات وأفلام ، وسهرة مع راقصة من الدرجة الأولى لثُري الناس كيف يهتز الوسط ... هذا إذا كانت محشومة ، وإلا فحدّث بلا حرج .

والمواطن لا يجد البرامج الجادة المثقِّفة والدافعة الى تنمية عادة القراءة .

عندما نرى الإحصائيات التي تتناول هذا الجانب يُذهل القارئ لها ، إذ أُجريت دراسة على (٥٠٠) فيلم طويل تبيّن أنّ موضوع الحب والجريمة والجنس يشكّل ٧٢٪ منها [١] .

وقد قام الدكتور (تشار) بدراسة مجموعة من الأفلام التي تُعرض على الأطفال عالمياً فوجد :

- ٢٩,٦٪ تتناول موضوعات جنسية .

- ٢٧,٤٪ تتناول الجريمة .

---

(١) الشباب .. هموم الحاضر وتطلعات المستقبل - عبد الله أحمد اليوسف - مطبعة سيهات - ط١ - ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م - ص١٤٧ ، ويمكن الرجوع الى كتاب (الأطفال والإدمان التلفزيوني) لماري وين (سلسلة عالم المعرفة) - المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب - عدد ٢٤٧ .

- ١٥٪ تدور حول الحب بمعناه الشهواني العصري المكشوف [1] .

هذا إلى جانب الإفراط في مشاهدة التلفاز ، والوقت المهدور أمامه ، ولأن طبيعته إدمانية ، فهو يجر ساعة وراء ساعة .. ناهيك عن أنّ التجربة التلفزيونية في عملية التعليم لم تثبت نجاحها .. بل تخللها بعض النقص ، وهنالك أصداء لإلغاء التلفاز تنبع من الغرب نفسه ، لما يراه من مشاكل أخلاقية وسلوكية ، وهذا يبدو واضحاً في مجتمعنا ، كيف عمل التلفاز على كسر الكثير من القِيَم النبيلة ، كالعفة والغيرة .. ولم يفلح بغرس القيم الحضارية التي يراهن عليها صانعي التلفاز باعتباره تجاوز الحدود الجغرافية وسهّل الإتصال الحضاري ، بل على العكس من ذلك ، فقد ظلم المجتمع من ثقافة بعيدة كل البُعد عن أصوله ومبادئه وظروفه .. بتجربة لم تكن له .

ولا حتى استطاع أن يجعل المجتمع يهوى العلم والمعرفة ، ويميل إلى القراءة والبحث ، بل أسَرَهم في زنزانته ..

□ خطوة ..

))) هل يجتمع النقيضين ؟!

يبقى السـؤال الكبيـــر الذي يفرض نفسه علينا ونحن في ضوء الحديث عن وسائل الإعلام ، هو هل يمكن الجمع بين وسائل الإعلام والقيم ؟ ، هل يمكن الجمع بين وسائل الإعلام والقراءة ؟ .

---

(١) نفس المصدر السابق - ص١٤٧

مع العلم أن وسائل الإعلام تأخذ العقول بعيدة عن الكتاب ، لأنها أقرب إلى النفس من الكتاب بإعتبار الرؤية المتحركة والمباشرة .

أم إنّنا في حديثنا في الجمع نعيش نوع من الأحلام ، ودغدغة المشاعر وبث الأمل ، لأن الجمع للإستحالة أقرب منه للإمكان !! .

للإجابة عن هذا السؤال أؤخذ بيدك أيها القارئ الكريم إلى تجربة لأحد الدول الأجنبية ، وهي الولايات المتحدة الأمريكية [1] ، وإلى أوبرا وفيري ، صاحبة برنامج (نادي أوبرا للكتاب) ، البرنامج الدعائي للكتاب الذي نجح في ترويج عادة القراءة .

وهي في تصوّري إنطلقت من القاعدة القائلة : (كل شيء في العالم كالسكين ، فإما أن تقطع بها الطماطم والخيار والخس والليمون ، وتصنع لك (سَلَطة) لذيذة يسيل لُعابك فقط لتخيّلها ، أو أن تغرسها في عنق بريء وتقطع أوداجه على أثرها ، وتسيل بها دماً عبيطاً ، فتصنع جريمة كبيرة لم يكن في التاريخ لها مثيل) .

من هذه القاعدة عملت برنامجها الذي رفع منسوب القراءة ، ومنسوب مبيعات الكتب في أمريكا ، حيث يراها عشرة ملايين في الولايات المتحدة فقط ، وخمس عشر مليوناً خارجها ، وبهذا أدهشت دور النشر ومطابع الكتب ، فبمجرد عرضها تتطاير الكتب من فوق أرفف المكتبات مئات الألوف من نسخ الكتب (مع

---

(١) مع ما لنا من ملاحظات على التجربة نفسها ، والإعلام الأمريكي أيضاً ، فمن (أوبرا) نفسها وسلوكها وشخصيتها إلى الإعلام الأمريكي والغربي نفسه خصوصاً في الجانب الأخلاقي والقيمي ، حيث هو رائد الإنحطاط .

العلم أن في الغرب إذا أراد أحد المؤلفين طباعة كتاب فلا أقل من عشرين ألف ، أما في الشرق فلا أكثر من ثلاثة آلاف) يشتريها أُناس ما خبروا القراءة من قبل .

في كل شهر تظهر (أوبرا) أمام الكاميرا وبيدها كتاب مخاطِبة متابعيها هكذا : " هذا إختياري كتاب هذا الشهر ، أريدكم أن تذهبوا لمكتبات بيع الكتب ، أريدكم أن تشتروا هذا الكتاب ، أريدكم أن تقرأوه " ، ثم تطلب منهم أن يبعثوا رسائل إلكترونية أو ورقية محتوية تفاعلهم مع النص ، ومن بعد ، يتم إختيار أربعة أشخاص من مجموع كتّاب الرسائل تلك ، يطيرون - على حساب برنامج أوبرا- من أجل اللقاء بمؤلف ذلك النص ، ويتناول العشاء على مائدة أوبرا ، والتي يتم حولهم نقاش النص وتجربة مؤلفه ، وتجربة القرّاء الأربعة ، ومداخلات (أوبرا) أمام عين الكاميرا الراصدة ، لتعرض مقاطع من ذلك النقاش ، وفكرة عن الكاتب خلال حلقة البرنامج المعيّنة " [١] .

فهذه التجربة تنفي مَن يقول (لا جمع بين الكتاب والإعلام) ، بل نحن إن إستطعنا أن نحافظ على القيم والأسس المجتمعية ، والثوابت القيمية والدينية الإسلامية الحضارية ، باستخدام كافة وسائل الإعلام ، مع العلم أننا في هذه المرحلة مؤهلون لذلك إن إستطعنا تخطّي التحدّيات ، نكون قد مزجنا بين الأصالة والمعاصرة ، وحافظنا على هويتنا التي يحاول الغرب سلخنا منها ، وأيضاً حافظنا على قيمنا وأخلاقنا الحضارية .

---

(١) مجلة الكلمة - العدد ٢١ - ص٩٤

››› تلميع المؤلفين

وأيضاً من الضروري على الإعلام تلميع المؤلفين ، والكتّاب ، والعلماء ، والمثقفين .. أكثر من التلميع للفنانين واللاعبين ، والراقصات والمطربات ، والسؤال عن آخر الأغاني المقدّمة للمجتمع ، أو السؤال عن آخر هزّات الخصر للراقصات ، وأي الكلاب أو القطط تفضّل ! .

بل من الضروري تقدير المفكرين والعلماء وتلميعهم على الشاشة والمجتمع ليكونوا قدوات للمجتمع ، فشبابنا يمور في خيال الرياضة ، ويرى القدوة في ذلك اللاعب ، الذي يركل الكرة برجله وربما وبالصدفة يقذفها في أحضان شباك المرمى ، حتى غدا شبابنا لا تهمّه القضايا الثقافية ، والإكتشافات العلمية ، والعمل لتغيير مجتمعه والأخذ بيده إلى التقدّم والرُقي .

فكم يغمرني الفرح والسرور عندما أرى شاباً يدفع من مصروفه لكي يشتري كتاباً يتسامر به مع أُصدقائه .. كل هذا إذا إستطاع الإعلام أن يوجّه المجتمع نحو المجد والفضيلة .. لا نحو الرذيلة والإنحطاط والتخلّف .

[٤] الدولة :

على رأس جميع ما سبق تقف الدولة -على الأقل في ظل الحكومات الحالية- التي بيدها كل شيء ، حيث سطوة الحكومة مهيمنة على الكثير من نوافذ التنمية في مجتمعاتنا ، وإن كان في الفكر السياسي الإسلامي عمل الدولة محدود ومؤطّر ، ويرجع

للشعب والأمة أكثر الوظائف في التنمية (الأهلية) ، لكننا هنا نتحدث عن الواقع المُعاش ، حيث لا تقدّر الحكومات الجهود الفكرية والعلمية في بلدانها ، ولا تسمح بإقامة جمعيات النفع العام ، وتعمل على تصنيع شخصيات زائفة ومبتذلة للشباب ، فلو أن لاعب كرة قدم إستطاع أن يحقق بعض الأهداف تجد الحاكم يقوم بتكريمه بنفسه ، ويعمل له الحفلات ومأدبات العشاء ، ويلبّسه الورود والزهور ، لكن مَن يؤلّف كتاباً ، ومَن يخترع إختراعاً ، ومَن يكتشف إكتشافاً ، فالقمر أقرب إليه من التقدير والتشجيع .

ففي سنة ١٩٩٣م شَعَرَ الفرنسيون بانخفاض في نسبة القراءة ، حينها نزل وزير الثقافة الفرنسي ومعه كبار المؤلفين والكتّاب إلى الشوارع والحدائق العامة والمراكز الثقافية يقرؤون ويتحدثون مع الناس من حولهم عن القراءة والكتب في مهرجان عام إسمه (مهرجان جنون المطالعة) ! ..

هكذا هم يفعلون ! ، لكن ماذا نحن نفعل ؟! .

☐ خطوة ..

››› الحرية .. سبب الحياة

لو أنّ أحدنا ذَهَبَ إلى مدينة ورآها جميلة لكنها في ظلّ حُكم طاغوتي مستبد دكتاتور فاعلم أنها ستكون أجمل لو أنها كانت في حُكم كافل للحريات ، ولو أننا ذهبنا إلى مدينة ورأيناها خراباً والحُكم فيها كافل للحريات فاعلم أنها ستكون أسوء لو كانت

في ظل حُكم طاغوتي مستبد دكتاتور .

فالحرية بالنسبة للمجتمعات أمر ضروري وملحّ على جميع الأصعدة ، السياسية ، والثقافية ، والإجتماعية .. وغيرها ، فمن غير الحرية لا يستطيع الإنسان أن يعيش حياته ، فهي سبب الحياة ، وسبب إستمرارها ، ولا يخفى أنّ اللّه عزّ وجل لا يريد أن يكون رباً وإلهاً ومعبوداً لأحد دون أن يكون حراً ، فقد أعطاه الحرية (إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفورا) ، ولم يكن ذلك إعتباطاً ، بل لأسباب كثيرة ، ولأنّ الإنسان لا يمكن أن يقوم بعمل ما لم يقتنع به ، وإن قام به قام متثاقلاً مُكرهاً ، وحريّ بنا أن نتخلّق بأخلاق اللّه وإبداعه .

››› أوليات الحرية

ومن أوليات الحرية هي الحرية الفكرية ، أي حرية الإنسان في التفكير والرأي والتعبير دون أن توضع عليه أصرار وأغلال لكي ينغلق في عالم رحِب من الإبداع والإبتكار .

ومن المفارقات المخجلة جداً في واقعنا هو عدم توفير الحكومات ذلك لشعوبها ، في الوقت الذي يناقش العالم المتقدم ويقنّن دولياً حقوق الملكية الفكرية ، التي تكفل للمبدعين فكرياً حفظ حقوقهم وإبداعاتهم ، من عدم سرقتها ، أو إستغلالها لمصالح تجارية ، بل حتى ذلك يكون بعد وفاة الشخص .

وما نراه في معارض الكتب يكشف لنا وبشكل واضح هذه المعادلة ، فنرى عملية إلغاء الآخر واضحة من خلال منع كتب

المذهب الآخر ، أو الديانة الأخرى ، أو التيار الآخر ، وكذلك منع الكتب الجادة التي هي بالنتيجة ضمن الكتب التي تكون مخالفة للملغين ، مما سبّب إقبال المجتمع على الكتب المترفة والقشرية كالسحر والشعوذة والأبراج وتفاسير الأحلام والطبخ .. وما شابهها ، ومما سبّب أيضاً تراجع المعرض عن هدفه الأساسي من توعية المجتمع وإثراء الساحة الثقافية .

معرض الكويت للكتاب العربي .. متابعة وتقويم

ونستطرد هنا الحديث عن معرض الكويت للكتاب العربي السنوي لمتابعته من بعد التحرير وحتى عام ١٩٩٩م ، أي من المعرض السابع عشر إلى المعرض الرابع والعشرين .

لم يخلو أيّ معرض من المعارض السابقة من المصادرة والمنع ، وبعدة أعذار ، فمنها ما هو مسلّم وفطري ، ومنسجم مع الثوابت القيمية في الدين والمجتمع ، كمنع كتب الإبتذال الجنسي أو الكتب التي تمسّ بالذات الإلهية أو الرسول (ص) بشكل صريح ، ومنها ما يكون إلغاءاً للآخر أو لا يكون ضمن الصراعات السياسية ، وإثبات الوجود ، والسلطة والهيمنة ، أو بعض القناعات التي منبعها إلغاء الآخر المختلف .

ففي المعرض السابع عشر -أي بعد التحرير مباشرة- قُيّد في الأسر مائتين (٢٠٠) كتاب ، حيث تبدّدت كل الآمال والتوقعات بإفساح الحريات وعدم مزاحمة الإبداع ، خصوصاً بعد الغزو الصدامي للكويت الذي كان مظهر من مظاهر الإستبداد ، لكن على يبدو

أن المسؤولين لم يشعروا بالإستبداد ، فعاودوه على شعوبهم .

وفي المعرض الثامن عشر والتاسع عشر لم نرصد أيّ إحصائية بهذا الشأن .

وفي المعرض العشرون كان الأسر قد وقع على مائة (١٠٠) كتاب ، وفي العام الذي تلاه -أي في المعرض الحادي والعشرون- أُفرج عن خمس عشر (١٥) منهم ، وتنفست الكويت الصعداء في المعرض الثاني والعشرون حيث تمّ الإفراج عن مائة وستون (١٦٠) كتاب مما أحدث ضجّة كبيرة من قِبَل بعض النواب ، وأقاموا الدنيا ولم يقعدوها ، وتم إستجواب وزير الإعلام واستقالة الحكومة على إثره .

ومن الغريب جداً ما تراه من بعض الكتب التي مُنعت ، وسخافة المنع ، حيث مُنع مثلاً كتاب (مفاتيح الجنان) من كل المعارض ، وهو كتاب يحمل تراث روحي من أدعية أهل البيت (ع) ، في الوقت الذي المجتمع بحاجة ماسّة لهذا السِفر الروحي خصوصاً مع الطغيان الروحي وكثرة الجرائم وإنتشار المخدرات التي تعمل هذه الأدعيةة على تهذيبها .

وفي المعرض الثالث والعشرين كانت الطامة الكبرى ، حيث زادت الأغلال وحملات الإعتقال ، وتم تقييد خمسمائة (٥٠٠) كتاب في الأسر ، وإنفرجت قليلاً ، ولم تنفرج على صعيد التمنّي والطموح ، حيث تمّ أسر مائتين وخمس عشر (٢١٥) كتاب (أنظر الشكل ١) .

رقم المعرض	عدد الكتب الممنوعة
١٧	٢٠٠ كتاب
١٨	(لم ترصد)
١٩	(لم ترصد)
٢٠	١٠٠ كتاب
٢١	٨٥ كتاب
٢٢	(لم ترصد)
٢٣	٥٠٠ كتاب
٢٤	٢١٥ كتاب

(شكل رقم ١) : جدول يوضح حجم المنع على الكتب في معرض الكويت للكتاب العربي

››› تكثيف المكتبات العامة

وبيد الدول عمل المكتبات العامة في كل منطقة ، فمثلاً في دولة الكويت لديها (٢٥) مكتبة عامة فقط [١] ، في حين أن عدد السكان في الكويت ٢,٥ مليون تقريباً ، وهل ذلك العدد البخس يكفي جميع هذه الطاقات ؟! .. ستكون الإجابة بالسلب طبعاً ، فنحن بحاجة إلى أكثر من ذلك ، ويمكن أن يكون هنالك تعاون بين الدولة والشعب في هذا المجال ، من خلال المساهمة في عمل هذا المشروع ، على نفس المثل الكويت هي بحاجة إلى أكثر من (٥٠٠)

---

(١) مجلة التربية الكويتية - بتاريخ ١٩٩٩/٧/٣٠م

مكتبة لكي لا يكون هنالك عذراً لأحد لعزوفه عن القراءة ، ولو أن كل مكتبة كان لها مسابقة واحدة للقراءة في السنة ، فسيكون هنالك (٥٠٠) مسابقة ، ألا يدفع هذا لنهضة الأمة ؟! ، لك الإجابة أيها القارئ الكريم .

››› الندوات التوعوية

الناس بحاجة إلى الموعظة والتذكير مهما بلغوا من العمر ، قد تكون التذكرة ممن هم أقل من الموعِظ نفسه درجة وقيمة ، والأفكار دائماً هي بحاجة إلى المراجعة والنقد بين الفترة والأخرى ، والندوات تعمل على هذين الأساسين .

والدولة تملك من الإمكانات ، والصلاحيات ، والقدرات ما يؤهلها للقيام بهذا العمل ، فمن الضروري عمل الندوات التوعوية للأمة ، وتكثيفها على جميع المستويات ، على المدارس -أي الطلبة- ، والمثقفين ، والمتخصصين ، والمرأة ، وعامة الناس من طبقات المجتمع .

ومن الضروري الحذر على أن تكون الندوات دافع للعمل لا أن تكون حبراً على ورق ، يكون تعالي الصراخ والنقاشات فارغ من العمل بِمَ يقال ، فهذا من أكبر المفاسد التي إبتُليت بها الندوات الحالية ، والتي يمكن تجاوزها بالإصرار على العمل فقط .. وفقط .

" ومما يندرج في إطار الفعاليات وإنعدامها ، والإنفصال بين القول والعمل ، فيما نحن بصدده من ظاهرة (العزوف القرائي في المجتمع العربي) أن نرى الأمم المتقدمة تهتز عند ظهور أي هبوط في مؤشرات القراءة لديها ، فتدعو جميع المعنيين بشؤون القراءة من

تربويين وإعلاميين وعلماء ومتخصصين ، وتوزّع الوظائف بينهم لرأب الصدع وسد الخلل ... بينما لا نرى هذا الأمر على فداحته عندنا يؤرّق أحداً ، ولئن أرَّقَ أحداً فلن يعدو حركته لتنظيم ندوة أو مؤتمر " [١] .

فنحن عندما ندعو لعمل الندوات لا لتكون قولاً بلا عمل (ياأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون كَبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) [٢] ، بل لتكون سبباً للوعي ومن ثم العمل للتغيير (وقُل اعملوا فسيرى عمله ورسوله والمؤمنون) [٣] ، فمن أكبر آفات التنمية في المجتمع هي القول بلا عمل .

››› إستنفار عام

الدول المتقدمة عند الشعور أن منسوب القراءة في بلدها قلّ وضعف ، تقوم بعمليات إستنفار عام ، وتكون جادة في نفس الوقت ، فهذه بريطانيا عندما شعرت أن مستوى القراءة هبط بذلت لذلك (١٧٠) مليون جنيه فقط لرفع منسوب القراءة والكتابة " [٤] .

وفرنسا حين شعرت بذلك سنة ١٩٩٣م قام وزير الثقافة الفرنسي بعملية إستنفار عامة ، نزل هو ومعه كبار المؤلفين والكتّاب إلى

---

(١) الكتاب في الألفية الثالثة لا ورق ولا حدود - مصدر سابق - ص٣٤،٣٥
(٢) الصف ٦١
(٣) التوبة ٩٤
(٤) مجلة المعرفة - يناير ٢٠٠٠م

الشوارع والحدائق العامة والمراكز الثقافية يقرؤون ويتحدثون مع الناس من حولهم عن القراءة والكتب في مهرجان عام أسموه (مهرجان جنون المطالعة) ، هكذا هم يفعلون ! ، وأكثر من هذا علينا أن نفعل ، لأننا نتضور ألماً أكثر منهم ، لكنه كالسرطان في الباطن لا يشعر به الإنسان ، وإذا شعر به يكون البتر هو الحل ، وهذا أخشى ما أخشاه .

››› إقامة معارض الكتب

إقامة معارض الكتب على مستوى الدولة هذا أمر جيد ومشجّع على القراءة ، ومحفّز على المطالعة ، وجيد لتعريف الناس بالكتب الحديثة ، وخلق علاقة بين الناس والكتاب .

" ومن الأسماء التي أُطلقت على بعض المعارض : حباً بالكتاب (كندا) ، مهرجان الكتاب (سنغافورا) ، إسبوع الكتاب (أستراليا) ، ومن الأساليب التي إستُخدمت في هذه المعارض :

١- تنظيم رحلات طلابية منظّمة تضمّ الطلبة والأساتذة .

٢- دعوة المؤسسات الثقافية والهيئات المعنيّة بالكتاب وجميع الإدارات والوزارات .

٣- خلق حدث يشدّ الإنتباه إلى الكتاب والمؤلف والناشر .

٤- إصدار نشرة عن (عالم الكتاب) تشرح النشاطات الثقافية المختلفة ، وتُوزّع بالمجان .

٥- توزيع شارة للمعرض على الزوّار ، تخوّل حاملها بعض

الإمتيازات ، مثل المشاركة في : مباريات ثقافية ، ومساجلات شعرية ، ومسابقات لكتابة القصص ، والرسم .

٦- الإعلان في الصحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون .

٧- قيام شخص يرتدي زياً خاصاً لافتاً للنظر ، بالتجوّل في المدينة بسيارة مكشوفة ، وهو يمثّل دور (القارئ النهم) أو (ملتهم القراءة) ، وذلك من أجل إثارة إنتباه الجماهير ، ودعوتهم لزيارة المعرض ، وبثّ روح الحياة والحركة فيه " [١] .

ولا ننسى التنويه على ضرورة الحريات وتحطيم الرقابة الوصائية في المعرض .

))) تقديم الهدايا

كيف بشاب عند إنتهائه من قراءة كتاب في مسابقة للقراءة .. يطلّ هو والعالِم أمام حفل عرمرمي من على التلفاز .. وحضور حافل .. يصفق له الأدباء .. والألعاب النارية أخذت موقعاً في السماء .. والعالِم يقدّم هدية للشاب ويطبع على وجنتيه قُبلة ويُلبسه حلقة زهور على عنقه ؟! أتظن أن هذا الشاب سيعزف عن القراءة ويهجرها ؟! أم أن الآخرين لن يطمعوا بهذا المقام ؟! .

نحن لو أن أبانا عمل لنا حفلاً صغيراً بين الأسرة لعمل معيّن قمنا به كالنجاح في المدرسة مثلاً ، وعلى مستوى متواضع من المكان والحضور الأسري والهدية ، أيضاً لا ننام الليل من السرور الذي غمرنا ،

---

(١) القراءة أولاً - مصدر سابق - ص١٢٤،١٢٥

فكيف بتلك المكافأة الكبيرة ؟!! .

››› مشاريع في الطريق

لعبة كرة القدم هواية كباقي الهوايات الأخرى في الحياة ، ولكن الإهتمام الدولي والرياضي العام ، والمنظمات ، وغيرها أعطوها هذه المكانة ، وأصبحت بهذا المستوى من الإنتشار والإتّساع ، وحظيت بأهمية كبيرة لدى الشعوب والمجتمعات .

فماذا لو عمل للقراءة ، واهتم بها نصف الإهتمام بكرة القدم ، وعلى نفس المستوى من الجماهير ؟! ، -فمن باب أولى يكون للقراءة أكثر من ذلك ، لأنها سر نجاح الشعوب وتقدّمها- ، لك الإجابة أيها القارئ الكريم .

... فهل نكون جادّين بهذا العمل في ترويج عادة القراءة لدى مجتمعاتنا وشعوبنا ؟!! .

[٥] أسباب أخرى :

وهنالك أسباب ثانوية متعلقة بالشخص نفسه منها :

(١) شعور المسلم باليأس والإحباط مقابل إمكانيات الآخر الغرب .

(٢) عدم إستشعار الحاجة للقراءة ، فالجائع يقوم إلى (الثلاجة) لأخذ شيء يسدّ جوعه ، ومَن لا يشعر بالجوع سيظل جالساً حتى ينهضه منبّه الجوع ، كذلك مَن يشعر بالجوع والعطش والظمأ الفكري والمعرفي ، يقفز ناهضاً إلى المكتبة ليأخذ كتاباً يروي

ظمئه ويسدّ جوعه .

(٣) تعاسة المكتبات العامة -إن وُجدت في بعض الدول- ، من حيث الكتب ، والمكان ، والترتيب ، والقوانين ، والإستعارة ، ولا يمر يومين إلا وأعلنت المكتبة عن وجود جرد يستغرق عدة أشهر ! .

(٤) كبر حجم الكتب ، والتي ما إن يراها الشاب حتى يقف شعره مذهولاً ، ويقول : هل سأقرأ هذا الكتاب كله ؟! ومتى أنتهي منه ؟! هل بعد عشرة أو عشرين سنة ؟! .

(٥) عدم وجود الكتب المتناسبة مع سن القارئ ، فللطفل نوع خاص من الكتب ، وللمراهق نوع ، وللفتاة نوع ، وللطالب الجامعي نوع ، وللآباء نوع ، وللأمهات نوع ، فمجتمعاتنا فقيرة من هذه الناحية .

الفصل الرابع

كيف تصنع من نفسك قارئاً ؟!

(إن اللّه لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم) .

بقي الحديث عن الأفراد كأفراد ، كيف يصنعون من أنفسهم قُرّاء ، في حال عزوفهم عن القراءة .

››› ضع لنفسك طموحاً

يقول الإمام علي (ع) : (يطير المرء بهمّته كما يطير الطير بجناحيه) .

من الضروري أن تضع لنفسك طموحاً تسعى جاداً لنيله ، وهدفاً تحدّق فيه ، وتجتاز العقبات للوصول إليه ، ولا ترض لنفسك بالطموح المتواضع ، البسيط الذي لا يليق بمقامك وأنت إنسان ، خليفة اللّه في الأرض ، بل عليك إختيار معالي الأهداف والطموحات ، واعلم أن أي طموح لا يمكن أن يتحقق إلا بالقراءة ، فإذا أردت أن تكون أفضل مهندس فعليك بالقراءة في مجال الهندسة الكثير .. والكثير .

))) ضع لنفسك قدوة

وهي مثل أُخراها ، ضع لنفسك قدوة تسعى أن تكون أُفضل منه ، وتذكّر السر : القراءة هي سبيلك للوصول إليها ، فإذا وضعت لنفسك -على سبيل المثال- جمال الدين الأفغاني ، ذلك المُصلح الذي خلد في التاريخ ، حتى صارت كل فئة ومذهب ديني يقولون ويفتخرون بانتسابه إليه ، بل هم الذين ينسبون أنفسهم إليه ، فعليك بكثرة القراءة ، لكي تكون أفضل من القدوة التي كوّنتها لنفسك ، وأيضاً لا تتّخذ لنفسك قدوات متواضعة ، بل عليك إختيار المنارات والقمم الشاهقة .

يُقال إن أحد كبار العلماء الذين كان الناس يقصدونه لعلمه وفهمه ، ويطوفون الفيافي والوديان للوصول إليه ، سَأَل ولده : ماذا تريد أن تكون عندما تكبر ؟ ، قال الولد : أريد أن أكون مثلك ، فقال له العالم : للأسف لن تكون مثلي ، فاستفهم : ولِمَ ؟ ، قال : لأني كنتُ أطمح أن أكون كعلي بن أبي طالب (ع) فكنتُ أنا الذي تعرفني .

))) أنظر إلى ميولك

إذا كنتَ من العازفين عن المطالعة والقراءة ، وأردتَ أن تجعل من نفسك قارئاً محباً للقراءة ، فما عليك إلا أن تنظر إلى ميولك ، وإلى أي المجالات تحب ... القصص ، الأدب ، التاريخ ، الدين ، العلوم والتكنولوجيا ، الفكر والثقافة ، الرياضة ... وغيرها ، فحاول إقتناء الكتب في هذا المجال واقرأها شيئاً فشيئاً ستصبح عندك

مَلَكة القراءة ، ولا يُخاف عليك وتنطلق في رحاب وعالم القراءة ، وتعيش عيشة يحلم أبناء الملوك بها .

››› إذا كان الكتاب مخيفاً !

كثير من الناس ينفرون من القراءة ، لأنهم ما إن يرون الكتاب ذو حجم كبير وصفحات كثيرة ، حتى يكاد يُغمى عليه فزعاً من الكتاب ... نقول له : رويداً .. رويداً ، وأفضل ما تعمله لكي تتخلّص من هذه المشكلة هي أن تقسّم الكتاب إلى أجزاء برابط مطاطي وتقول لنفسك أنك سوف تقرأ هذا الفصل فقط ، فيكون الكتاب سَلِساً جميلاً تغرق في قراءته .

ودعني أهمس بأذنك عزيزي القارئ في البداية قد تكون كالسوبرمان تريد الطيران بسرعة خارقة ، وتريد إلتهام الكتب الكبيرة ، ولكن إبدأ من الكتب (السندويشات) الصغيرة الحجم ... فهذه أفضل الطرق ، لكي لا تكون لك ردّة فعل تجاه الكتاب ، لأنك قد تقرأ كتاباً أكبر من مستواك فتُصاب بردّة فعل تجاه الكتب ، وتظن أن جميع الكتب كذلك .

››› نظّم وقتك .. وكُن حازماً

يشكو الكثير من عدم وجود وقت للقراءة ، لكن الحقيقة غير ذلك ، فالوقت موجود ولكن يحتاج إلى تنظيم وضبط ، في هذا السياق ينقل الأستاذ زكي الميلاد أنه دُعي إلى ندوة في الأردن، وبعد إنتهاء الندوة ، قُدّم للحضور شاب وهو طبيب أسنان ، خلال سنة واحدة قرأ ألف كتاب فقط ! ، يقول الأستاذ زكي أنه جلس معه

ورآه رجلاً ذكياً وفاهماً ومتفتّحاً .

وأيضاً سُئل أحد العلماء المعاصرين ومن كبار المؤلفين ، له من المؤلفات ما يجاوز الألف مؤلف ، وكلهم بخط اليد ، وليست محاضرات مكتوبة ، عن كيفية قدرته على كتابة هذه الكتب كلها ، فقيل له : ياسيدنا الجليل هل أنت تكتب بيدك الإثنين ، فتبسّم وقال : لا .. فقط أنا أنظّم وقتي [1] .

فعذر الوقت غير مقبول ، والحقيقة هي حاجتنا لتنظيم الوقت ، وعليك أن تكون حازماً في تنظيم وقتك ، فلا تجعله رهين الحياء ، أو رهين قول كلمة (لا) في وجوه الأصدقاء بكل ذوق وأدب ، فإذا خصّصت لنفسك وقتاً مثلاً في الساعة الرابعة حتى الخامسة للقراءة ، فلا تخجل أن تلغي كل المواعيد ، وتقول للأصدقاء ولشهواتك وأهلك (لا) في هذه الساعة فقط .

ليكن في جيبك كتاباً .. أين كُنت

قد يخونك صديق في موعد وأنت تنتظره في مطعم أو .. غيرها ، في هذه الحالة لا يسعفك إلا الكتاب لكي تستفيد من وقتك ، فأينما كُنت إصطحب معك كتاباً وخصوصاً الكتب الصغيرة ، التي بدأ الغرب بطباعة مثل هذه الكتب صغيرة الحجم من سنة ١٥٠١م ، ولا زال ، فلا تجد شاباً أو إمرأة في قطار أو بانتظار الباص ، أو إنتظار موعد طبيب إلا ومعه كتاب .

---

(١) هذا العالم هو آية اللّه العظمى السيد محمد الشيرازي ، من كبار مراجع الشيعة وله من المؤلفات أكثر من (١٠٠٠) كتاب ، له مساهمة كبيرة في نهضة الأمة من حيث عمل المؤسسات والمنظمات الثقافية والإجتماعية في جميع أنحاء العالم الإسلامي وغيره .

الفصل الخامس

كيف تروج لعادة القراءة ؟!

كذلك بإمكانك أنت أن تروّج لعادة القراءة ، وتكون مع الذين ساهموا في نهضة الأمة ، لأن (إقرأ) الأولى إنطلقت في عصر الرسول (ص) فكانت نهضة مباركة ، ولتكن أنت صاحب (إقرأ) الثانية ، أو مكمّلاً للأولى ، تقول : كيف ؟ أقول لك :

››› إعمل مكتبة عامة في حيّك

بإمكانك عزيزي القارئ عمل مكتبة عامة في حيّك -أو الفريج- مزوّدة ببعض الكتب الجيدة والمفيدة ، وأيضاً يساهم في عمل هذه المكتبة أبناء الحي نفسه ، فيكون مركز الثقافة والفكر في الحي ، يلجأ إليها من يريد القراءة ، وهذا يحتاج إلى ترويج مثلما يتم الترويج لكرة القدم بحيث أصبح في كل حي ملعباً لها ، كذلك أنت تعمل مكتبة ، والملعب يحتاج إلى عمودين وكرة ، المكتبة تحتاج إلى أرفف وكتب ..

››› إعمل مؤسسة لطبع الكتب

وأيضاً عليك عزيزي القارئ عمل مؤسسات منظمة وفيها أعضاء

متعاونين همّهم هو طباعة كتب المؤلفين ، لتشجيعهم على التأليف ، لترويج عادة القراءة في المجتمع ، وصنع مجتمع قارئ ، (آجاثا كريستي) إمرأة إستطاعت أن تطبع مليار كتاب من مؤلفاتها ونشرتهم ، مع العلم أن مؤلفاتها لم تتجاوز المائة وأربع عشر (١١٤) كتاباً ، وهي بريطانية .. فهل تختلف أنت عنها ؟! ... لك الإجابة .

››› قُم أنت بالتأليف

وأخيراً عليك أنت المسؤولية ، قُم بتأليف الكتب في هذا المجال ، لتحثّ الناس على القراءة ، فهي النهضة الأولى بالنسبة لمجتمعاتنا ، فإن إستطعت أن تؤلف في هذا المجال -القراءة- بعض الكتب وتقوم بنشرهم .. فأنت عملت عملاً بطولياً في هذا المجال ، وتكون لك بصمة في نهضة المجتمع .

الفصل السادس

تجارب مع الكتاب ..

في هذه الصفحات أكتب لك عزيزي القارئ بعض التجارب مع الكتاب ، والتي ربما تُغنيك عن الكثير من التجارب التي قد تمر بها في المستقبل ، لكن ليست هي التجارب الوحيدة والنهائية .

››› منهجية القراءة

من الضروري أن تضع لنفسك منهجية للقراءة ، فلا تكون قراءتك تخبّط عشوائي في أي مجال تقرأ ، وأي كتاب تقرأ .. دون أن تحدد لنفسك منهجاً ، وأرى أن أفضل طريقة لمنهجية القراءة هي : أن تضع لنفسك مدة من الزمن وتحدد فيها قراءتك في مجال معين ، مثلاً لمدة شهر تقرأ في مجال التربية ، وبالإضافة على ذلك تنتقي عين الكتب ، أو الكتب المعتبرة والشاملة في هذا المجال ، وذلك باستشارة من لهم الخبرة في ذلك ، وبعد الشهر تحدد مثلاً في غضون إسبوعين تقرأ مثلاً في الصداقة ... وهكذا .

فهذه الطريقة تفيد من عدة نواحي :

١- عند التركيز في القراءة بموضوع معين وبمدة معينة ، ومن

عدة كتب ، تخرج بدرجة لا بأس بها من النهل والإدراك في الموضوع نفسه ، ويكون إدراكك للموضوع بشكل جيد .

٢- وأيضاً عندما تكون القراءة منهجية ، وقراءتك تكون من أطراف متعددة تستطيع تكوين وجهة نظر حول الموضوع ، لأنك قرأت عدة آراء ، وذلك واضح جداً في المواضيع التاريخية ، فعند قراءة حدث تاريخي من عدة جهات يكون تكوين الرأي واضح .

››› التدريب على القراءة السريعة

حيث نعيش في عصر سهولة الإتصال ، وسرعة المعلومات ، وتراكم الآراء والأفكار ، نحن بحاجة إلى إستيعاب كل هذه التطورات ، وهذا لا يمكن بمهارة قرائية بطيئة ، بل نحن بحاجة للتدريب على القراءة السريعة الواعية ، وليست الخالية من الفهم للمادة المقروءة ، ومن أفضل الكتب التي عرضت هذه المهارة بطريقة علمية وموثّقة هو كتاب للأستاذين : محمد سالم عدنان وأنس الرفاعي ، من دار الفكر بدمشق يمكن مراجعته .

››› إصطحب معك كتاباً أينما كُنت

قد يكون لك موعد في عيادة ، أو موعد مع صديق في مكان معين ، أو رحلة عائلية إلى إحدى المناطق الساحلية أو أي مكان كُنت ... تذكّر أن تصطحب معك كتاباً ، لربما خانتك الظروف ، فلن يخونك الكتاب ، فتفتحه وتقرأه ، وبذلك لا يضيع عليك الوقت ، ففي الدول المتقدمة توجد مكتبة في جميع أنحاء البلاد وأقطار البيت ، في غرفة الضيافة ، وفي غرفة المعيشة ، في المطبخ ،

في الممر ، بل وفي الحمام أيضاً ، لذلك كتب الجيب منتشرة هناك .

))) إقرأ الكتاب إلى الآخر

عند قراءتك لأي كتاب لا تقرأ منه بعض الصفحات وتتركه ، بل إقرأه بكامله ، حتى لو كان الكتاب مملاً ، وطويلاً ، فهذا يُعطي لك مصداقية الحديث عن الكتاب إذا صادف أن سألك أحداً عنه ، يقول أحد الأصدقاء : منذ عشرة سنوات أو أكثر أتذكر أني قرأت كتاباً لكن الخمسون صفحة الباقية لم أكملها وإنّ لي النيّة في إكمالها إنشاء اللّه ! .

))) لخّص الكتب المقروءة على شكل كتاب

ينقل أحد الأصدقاء تجربة جيدة مع الكتاب أحببت أن تعرفها ، فقط لحبي لك ، وهي أنه عند قراءته لأي كتاب يكتب التاريخ الذي بدأ في قراءته ، ويوثّق المؤلف والدار الناشرة للكتاب ، ويكتب نبذة بسيطة عن الكتاب ، كل هذا في كراسة تحتفظ بها ، فتكون له موسوعة كتب في كراسة واحدة .. كم هي طريقة جميلة وعملية .



الخاتمة

في نهاية البحث أرجو أن أكون قد وُفّقت لما سعيت من أجله في هذا الكتاب المتواضع ، وأرجو أن تكون مساهمة إلى الأمة الإسلامية في هذا البحث عن القراءة ، والتشجيع لها ، لكي نعيد نهضة الأمة بكلمة (إقرأ) ، وما ذلك على اللّه بعزيز .

أكتب هذه الخاتمة لكي لا تكون الخاتمة ، بل بداية للعمل والسعي الجاد المتفاءل لنتحول إلى مجتمع قارئ ... وأستميح القراء عذراً إن أخطأت ... وأكون شاكراً لهم إذا أرشدوني ، فهذا الكلام قابل للنقد والتقويم والمراجعة ، ومعرّض للخطأ والصواب ...

تم بحمد اللّه العلي العظيم .



ملحق

تصنيف القرّاء في العالم العربي

ولا يُنكر أن في الوطن العربي قرّاء ، ومما كُتب في هذا المجال - تصنيف القرّاء- ما كتبه محمد عدنان سالم في كتابه (القراءة أولاً) ، ونعرضه هنا بالنص :

" يتفاوت الناس في درجة إقبالهم على القراءة ، وفي إنتفاعهم من قراءتهم ثانياً ، فهناك :

[١] العاجزون عن القراءة :

بسبب أمّيّتهم ، وهم يشكّلون شريحة واسعة في عالمنا العربي ، آخذة بالتناقص بفضل قوانين التعليم الإلزامي من جهة ، وجهود محو الأمّيّة وتعليم الكبار من جهة أخرى ، وهؤلاء الأمّيّون لديهم من الشعور بالنقص ما يدفعهم إلى التعويض ؛ إمّا بتحصيل مهارات ذهنية وإدارية تمكّنهم من إستخدام المتعلمين لتحقيق طموحاتهم ، أو الإقبال على تعلّم القراءة ، وتحصيل ما فاتهم من العلم .

ورغم أن لدى هؤلاء الأمّيّين من الدوافع ما يحفّزهم للتخلّص من عقدة نقصهم وعجزهم ، وأنّ مآلهم ، إن عاجلاً أو آجلاً ، إلى الإنقراض ، بسبب طبيعة العصر وبرامج التعليم الإلزامي ومحو الأمّيّة ، فإنّ كثيرين ممن تحرروا من الأمّيّة يعودون إلى التردّي في

حمأتها لأنهم لم يجدوا حولهم ما يثير إهتمامهم من المطالعات المتّصلة بحاجاتهم النوعية ، أو إختصاصاتهم المهنية ، أو همومهم اليومية .

وقد تنبّهت بعض الدول إلى هذه الظاهرة فأعدّت برامج خاصة لمعالجتها ، سهرت المؤسسات الحكومية على تنفيذها بالتعاون مع دور النشر والمشرفين على شؤون الثقافة ، ومن أهم هذه البرامج : برنامج (موبرال) الذي طُبّق في البرازيل ، البرنامج التتراني الذي إستهدف تأمين مادة للمطالعة لما يناهز خمسة ملايين شخص حصلوا على تعليم أولي عام ١٩٨٠م بفضل برامج محو الأمية .

وجميع هذه البرامج أخذت بالإعتبار أن جمهورها يتميّز بتعليم شكلي مقتضب ، وأُفق ثقافي محدود ، وقدرة شرائية ضعيفة ، وأن هدفها هو تنمية مَلَكات الأفراد ، واستثارة مشاعرهم ، والإرتقاء بمؤهلاتهم المهنية ، وإيقاظ شعور الثقة بالذات لديهم ، وقد إستُخدمت لتحقيق هذا الهدف كل وسائل الثقافة والإعلام المسموعة والمرئية ، والمسرح ، والسينما .

وعلى المستوى التطبيقي أقامت منشآت ثقافية ثابتة (مراكز ثقافية) ، ووحدات ثقافية متحركة مزوّدة بمكتبة متنقّلة ، وجهاز التلفزيون ، وفيديو ، وتجهيزات لالتقاط وبث الصوت ، وآله عرض سينمائية ، مما يتيح لها عرض جميع ضروب الفن والثقافة المتوافرة ، كما أقامت المعارض الثقافية ، وفي مختلف المدن ، وعلى مدار السنة .

[٢] القارئ الصدئ :

وهو غني عن التعريف ، إنه الذي يُحسن القراءة لكنه لا يقرأ ، متعلّلاً بأعذار كثيرة لتبرير إحجامه عن القراءة ؛ فهو تارة يشكو كثرة العمل وضيق الوقت ، وأخرى بضعف البصر ، وينحي بالملامة على برامج التلفزيون التي شدّته إليها فحرمته من متعة القراء ..

تعلّلات واهية ، يكشف زيفها وجود نخبة من القرّاء الناضجين ، يعمل أحدهم في تخصّصه المهني الذي يستغرق جلّ وقته اليومي ، ويقوم بواجباته وتنمية علاقاته الإجتماعية على خير وجه ، ويقضي مع الإذاعة والتلفزيون بعض الوقت ، ويخصّص لأسرته وقتاً كافياً ، وينظّم معهم رحلات ترفيهية ، ويستمتع وإياهم في أوقات فراغ مستركة ، ويقوم بنشاطات كثيرة ، ومع ذلك فإنه يجد متّسعاً من الوقت للقراءة والتأمّل والنقد .. إنه مسيطر على وقته ، ينظّمه ويعطي كل ذي حق حقّه .

ومعظم القرّاء الصدئين ، يبدأ بالإبتعاد عن القراءة والكتاب ، عند مغادرته مقاعد الدرس ، وحصوله على الشهادة الدراسية ، بحجة السآمة بعد دراسة مُضنية من جهة أخرى ، فكأنه يمنح جهاز تفكيره إجازة مؤقتة ، على أن يعود لعالم يستمرئ هذه الإجازة ويخلد إليها حتى يكسوه الصدأ ، ويعزله عن عالم القراءة والكتب .

وبعضهم يبدأ عزوفه عن القراءة نتيجة إخفاقه الدراسي ، فينقلب هائماً على وجهه مُبغِضاً للكتاب ، يعزو إخفاقه الدراسي ، ويبحث

عن وِجهة يحقق فيها ذاته ، بعيداً عن عالم القراءة .

إن الحالتين كلتيهما تشيران بإصبع الإتهام إلى نظامنا التربوي الذي يركّز إهتمامه على الشهادة أكثر من الموهبة ، وعلى الكم أكثر من الكيف ، وإلى مناهجنا التربوية التي تقدّم لنا المعلومات لنحشو بها أذهاننا قسراً ، لا نستمتع بها ، ولنؤدي واجباً مفروضاً ، لا لنمارس هواية مختارة ، ننمّي بها حبّ الإطّلاع الذي فُطرنا عليه ، وتقدّم لنا الكتاب بوصفه (شيئاً) لا بوصفه (نافذة) على عالم المعرفة .

ليتنا نملك عقاقير سحرية ما أن تمسّ جبين قارئ صدئ ، حتى تبعثه على الفور قارئاً شغوفاً نهماً محبّاً للقراءة والكتاب .

لكننا -للأسف- لا نملك هذه العقاقير ، فلنتابع رحلتنا مع أنواع القرّاء ، ثم لننظر في مناهج التغيير وأساليب التقويم الكفيلة بمعالجة كل أسباب العزوف عن القراءة ، وكل أنواع الخلل القرائي .

[٣] قارئ الديكور :

وهو الذي لفت نظره نموذج من تصميم لمنزل أو مكتب تحتل فيه المكتبة ركناً بارزاً ، يعطي الزائر إنطباعاً بأن صاحبه مثقف مهتم بالثقافة والكتاب ، فبعد أن يجهّز هذا الركن بالرفوف اللازمة ويرضى عن تقاطيعها وجماليتها ، يبدأ بالبحث عن الكتب التي سيملأ بها هذه المكتبة ، وأكثر ما يهمّه تناسق ألوان كعوبها ، ومقاييسها وأحجامها ، وغالباً ما يصطحب معه مذكّرة دوّن فيها مقاييس الفراغات التي بقيت لديه في المكتبة ، بعد

الوجبة الأولى من الكتب التي نسّقها على الرفوف ، فهنا يحتاج مسافة ٥٠ سم بارتفاع ٣٠ سم ، وهناك لم يبق لديه متّسع لأكثر من ١٥ سم بارتفاع ٢٠ سم ، وهنا تبرز المشكلة ، فهذه موسوعة علمية تضم ٢٥ مجلداً تشغل ٧٥ سم ، إستهواه لون غلافها الجميل ، فهل يجتزئ منها ما تتسع له الرفوف ؟ أم يبحث عن أخرى أقل أجزاء وأضيق مسافة ، ويستعين بصاح بالمكتبة ليحلّ له الإشكال ..

ليست صورة قارئ الديكور هذه ، من نسج الخيال ، بل هي واقع ينبّئكم بأمثاله الذين مارسوا بيع الكتب ، وإدارة المكتبات .

[٤] القارئ المتعلّم :

وهو الذي لا يكتفي بالمظهر ، وإعداد ركن ثقافي يجذب بجماله وتناسقه الأنظار ، ويطري الزوّار ذوق صاحبه الرفيع ، وهم يحتسون القهوة بجواره ، بل يتجاوز ذلك إلى الإدلاء بدلوه في سوق الثقافة ، فهو يتحدث في مجالسها عن الكتاب الفلاني ، ومؤلفه ، ويعطي لمحة سريعة عن مضمونه ، بل وينتقد تقصير المؤلف في إغفاله بعض جوانب الموضوع .. لقد قصد الطريق التي تضمن له النجاح ، فما عليه إلا أن يستوعب من كل كتاب مقدمته ، وفهرس المحتويات ، بالإضافة إلى حفظ العنوان وإسم المؤلف ، مما يوفّر عليه عناء الدرس ، والغوص في فصول الكتاب ، والتوقّف عند تعبير غامض ، أو فكرة عويصة ، أو مفهوم خاطئ " .

[٥] المولع باقتناء الكتب :

" كتب صحفي يرسم صورة ساخرة لقارئ مولع بالتهام الكتب : (إن الحياة دون كميات هائلة من الكتب المتناثرة في كل أرجاء المنزل هي في نظر المولع بالتهام الكتب أشبه بنهار لا شمس فيه ، وإذا مرّ أسبوع دون أن يقتني كتباً جديدة فإن يديه تأخذان بالإرتعاش ، والأمر بالنسبة إليه لا يتعلق بكتب قديمة نفدت نسخها ، أو مخطوطات نادرة يحرص على إقتنائها محبّو الظهور وهواة الشهرة ، فما يلائمه هو النسخ العادية الموجودة على الرفوف في متاجر بيع الكتب ، في متناول اليد ، تنتظر من يحملها إلى البيت ، إنّ نهمه إلى الكتب لا يعرف الحدود ، ويتجاوز التخوم) .

وهذا ، مع إن ولعه بالكتب لمجرد إقتنائها ، وبعثرتها بانتظار فرصة لترتيبها ، فإن أبناءه سوف يفيدون منها ، حين يجدون بين أيدهم مكتبة غنيّة ، مثل بستان يدعوهم ليقطفوا من كل شجرة زهرة ، ولابد أن تواتيه فرصة ، أو يدفعه الخجل من أولاده وزوّاره ليبدأ بالقراءة ذات يوم .

[٦] القارئ الناضج :

إنه الهدف من كل الجهود المبذولة في تحسين القراءة ، وإنّ لهذا القارئ سمات مميّزة ، وصفات ، منها :

أ- حماسته الصادقة للقراءة .

ب- معرفته لأساليب البحث والتنقيب في مصادر المعلومات ،

وكيف يرجع إلى المعاجم والحوليات ، وإلى الموسوعات ودوائر المعارف وأمهات الكتب ، ومعرفته لكيفية إستعمال بطاقات المكتبات ، كي يصل إلى مبتغاه بسهولة .

ج- تنويعه في المقروءات .

د- إمتلاكه لمهارات القراءة الميكانيكية والفيزيولوجية ، من حيث إدراك الحروف والكلمات ، والتعرّف عليها ، والنطق الصحيح بها ؛ من غير حذف ولا إضافة ، ولا إبدال ، ولا تقديم ، أو تأخير أو تكرار ، والأداء السليم لها عند القراءة الجهرية بحيث توافق النغمة معنى الموقف المعبّر عنه ، والمراعاة لصحة الإيقاع ، وعلامات الترقيم ، وللسرعة المناسبة للموضوع وللمستمعين .

هـ- إمتلاكه للمهارات العقلية ، من حيث ثروة المفردات ، وإدراك المعنى القريب والمعنى البعيد ، وهدف الكاتب والمغزى الذ يرمي إليه ، والعناصر التي ينقسم إليها الموضوع ، والعلاقات المنطقية بين أجزائه ، والإسلوب البلاغي للكاتب .

و- مقدرته على إستعمال كل المعلومات التي تساعده على فهم الأفكار المطروحة كما أرادها المؤلف ، سواءً منها المدخرة لديه أو المتوافرة في بطون الكتب والمراجع .

ز- مقدرته على صهر الأفكار الجديدة المكتسبة ، مع الخبرة الماضية ، مما يسمح برؤية الأشياء من زاوية جديدة .

ح- مقدرته على تكييف سرعة القراءة مع الحاجة والوقت المتاح ومتطلبات الفهم والإدراك .

[٧] القارئ الناقد :

وهو ثمرة القراءة الناضجة ، والتي توفّر للقارئ مَلَكة نقدية تؤهله للتمييز بين نقاط القوة والضعف ، والكشف عن التحيّز والإدّعاء ، ولتمحيص الصحة والخطأ في الأفكار .

وينبغي للقارئ أن يكون قادراً على معرفة مقدار صحة النص ، وهل يتطابق مع الواقع ؟ وهل يعبّر عنه ؟ وهل ثمة ترابط بين عناصر الموضوع ؟ هل يتّسم تبويبه بالمنهجية ؟ أم تتخلّله الثغرات والقفزات ؟ وهل وُفِّقَ الكاتب في عرض أفكار الآخرين ؟ وما مدى إبداعه ؟ وهل بفكر جديد ؟ أم كان يجتر أفكاره ، أو يكرر أفكار الآخرين ؟ وما مدى أمانته العلمية ، وخاصة في الإقتباس ونقل النصوص ؟ .

وخلاصة القول ، فإن القراءة الناقدة تتمثل في مقدرة القارئ على :

١- تحديد أهداف الكاتب ، ومدى تحقيقه لها .

٢- فهم النص ، وربط الفكر بعضها ببعض .

٣- تقويم المقروء ، مدى كفاية المعلومات وفائدتها ، وصدقها وموضوعيتها .

٤- إكتشاف أوجه التشابه والإختلاف في الأفكار بين الكاتب وغيره .

٥- الكشف عن تناقضات الكاتب ومبالغاته وادّعاءاته " .

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : الكتب :

١- القرآن الكريم .

٢- سالم ، محمد عدنان - القراءة أولاً - دار الفكر - دمشق - ١٩٩٩م - ١٤٢٠هـ - ط٢ .

٣- سالم ، محمد عدنان - الكتاب في الألفية الثالثة لا ورق ولا حدود - دار الفكر - دمشق - ٢٠٠٠م - ١٤٢١هـ .

٤- جعفر ، د. عبد الرزاق - الطفل والكتاب - دار الجيل - بيروت - ١٩٩٢م .

٥- الرفاعي ، أنس وسالم ، محمد عدنان - تسريع القراءة وتنمية الإستيعاب - دار الفكر - دمشق -١٩٩٧م - ١٤١٧هـ - ط٢ .

٦- سعيد ، جودت - إقرأ وربك الأكرم - دار الفكر المعاصر - بيروت - ١٩٩٣م - ١٤١٤هـ - ط٢ .

٧- آل حمادة ، حسن - أمة إقرأ لا تقرأ : خطة عمل لترويج عادة القراءة - دار الراوي - الدمام - ١٤١٧هـ .

٨- الشيرازي ، محمد الحسيني - الكتاب من لوازم الحياة - مؤسسة الوعي الإسلامي - بيروت - ١٩٩٩م - ١٤٢٠هـ .

٩- مومسون ، فيرونيك وهوبيه ، كريستين - أولادنا والمطالعة - طرابلس - ١٩٩٦م - ١٤١٦هـ .

١٠- كاثي كوبي - هارولد جولد وايت - ترجمة د. فتح الله الشيخ - مراجعة شوقي جلال - سلسلة عالم المعرفة - العدد ٢٦٦ - ط١ (٢٠٠١م - ١٤٢١هـ) .

١١- اليوسف ، عبد الله أحمد - الشباب هموم الحاضر وتطلعات المستقبل - مطبعة سيهات - ط١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

ثانياً : المجلات :

١- مجلة الكلمة (بيروت) - دورية فكرية - العدد ٢١ .

٢- مجلة التربية (الكويت) - دورية فكرية - العدد ٣٠ .

٣- مجلة نيوزويك باللغة العربية (أمريكا) - العدد : ٢٠٠٠/٦/٢٧م .

٤- مجلة الذِكر (الكويت) - دورية ثقافية إجتماعية - العدد ٢١-٢٢ .

ثالثاً : الجرائد :

١- جريدة القبس (الكويت) - صحيفة يومية سياسية - بتاريخ ١٩٩٩/٢/٢٧م - ١٩٩٩/٨/٢١م .

٢- جريدة الرأي العام (الكويت) - صحيفة يومية سياسية - بتاريخ ٢٠٠/٦/١٠م.

الفهرس

بيانات عن المؤلف

حسن جمال البلوشي

من مواليد 1403 هـ 1983 م.

ص.ب. 3443 السالمية - الكويت

البريد الالكتروني
hassan83@q80.net